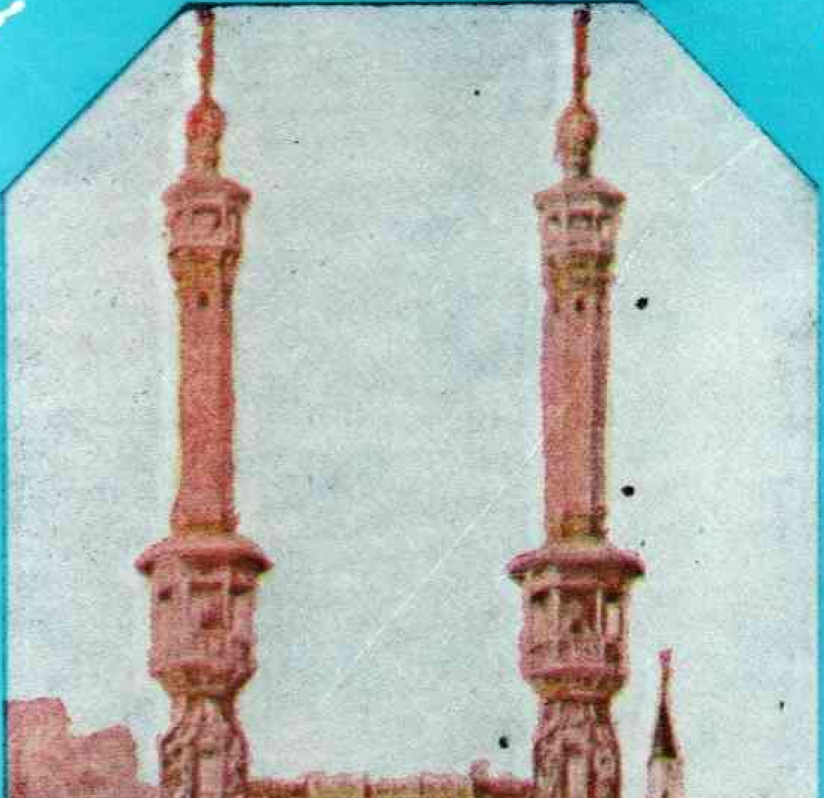
اقامة الصلاة

بقلم اللواء المتقاعد :
كامل طه محمد الدبوني

تقديم اللواء الركن :
محمود شيت خطاب



مكتبة النهضة
بغداد

بقلم اللواء المتقاعد: كامل طه محمد الدبوني

إقامة الصلاة

تقديم اللواء الركن: محمود شيت خطاب

منشورات
مكتبة النهضة / بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

الحمد لله الذي فرض الصلاة على عباده المؤمنين، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

منذ بزغ نور الإسلام في مكة المكرمة، ليشمل العالمين بنوره الخالد الذي لا يقلّ ولا ينطفىء، كانت الصلاة عمود الدين، مَنْ تركها ترك الدين، لأنها الصلة المباشرة بين عباد الله وخالقهم بعامة، وبين البشر وربِّ البشر بخاصة.

وقد أولى المسلمون أساتذة ومعلمين، خطباء ووعّاظاً، مؤلفين ودعاة، فريضة الصلاة منذ كان الإسلام حتى اليوم، ما تستحقه من اهتمام بالغ وجهد. وكان اهتمامهم بها وجهدهم الذي بذلوه في خدمتها قولاً وعملاً، يتفوّق على ما بذلوه في غيرها من أركان الدين فواقاً بعيداً، فصدرت مؤلفات في الصلاة ودراسات وبحوث لا تُعدّ ولا تحصى، ومع كل هذا الاهتمام البالغ والجهد، لا يزال هناك متسع للذين يريدون أن يخدموا الصلاة بالكلمة المؤمنة والقول الصادق والإرشاد السديد.

وكنتُ قبل أيام آخذ على شيخ في السبعين من عمره، يعمل في مجال العلم: تركه الصلاة، فقال: «لا أرى للصلاة أيّ فائدة بالنسبة لأمثالي من

المثقفين الملتزمين بالخلق القويم » وأصغيتُ إلى هذا الذي ترك الصلاة وهو يُعدِّدَ فوائد الصلاة كما تعلمها من دراسته، فذكر أن الصلاة عبارة عن حركات رياضية تكسب الجسم حيوية ونشاطاً، وهو ليس بحاجة إلى تلك الحركات لأنه يمارس الرياضة البدنية بانتظام.

والصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهو قد لجم نفسه عن الفحشاء والمنكر.

والصلاة وسيلة من وسائل النظافة، وهو مثال من أمثلة نظافة الثياب والأبدان.

وقال صاحبنا: « تلك هي مجمل فوائد الصلاة، وأنا مهتم بالمضمون لا بالشكل ولا قيمة للشكل بالنسبة للمضمون »

ثم انتقل من خطته الدفاعية إلى الهجوم، فعدّد من أصحابه مَنْ يحرصون على إقامة الصلاة ولكنهم ضعفاء الأجسام، أقوياء على الحرام! وأشهد أن الرجل كان صادقاً في دفاعه عن نفسه، فهو رياضي قديم له قامه وهامة، وهو رصين الأخلاق متمسك بالمثل العليا. وهو نظيف اللابس والجسم كأحسن ما تكون النظافة. ولكنه لم يكن مصيباً في هجومه على الآخرين إلاّ بالمظهر وحده، إذ لا يمكن أن نحكم على قيمة أيِّ مبدأ من المبادئ بالاستناد إلى تصرفات الأشخاص، فالمبادئ هي التي تُقيِّم الأشخاص، والعكس ليس صحيحاً كما هو معلوم، وما ذنب المبدأ السليم إذا لم يُطبَّقْ بشكل سليم؟!.

إن المصلين الذين اتخذوا من الصلاة (عادة) وهي (عبادة) هم الذين لاَ تؤثر فيهم الصلاة، ولو اتخذوها (عبادة) لأثرت فيهم تأثيراً حاسماً، فليس للصلاة ذنب، بل الذنب يقع على المصلين الساهين عن صلاتهم.

ومهما قيل في فوائد الصلاة، فإن الصلاة هي لذكر الله (إنني أنا الله لا

إله إلا أنا فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري)[١]

وقال تعالى: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)[٢]

وقال تعالى: (إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون)[٣]

إن الصلاة مناجاة مباشرة بين العبد وربه، والعبد يكون أقرب ما يكون من ربه في الصلاة. فلا بد أن يستشعر المصليّ بأنه أمام الله، فيخشع قلبه في ذكر الله، (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)[٤]. والمسلم الذي يخشع في صلاته يستشعر بالاطمئنان والسعادة، فهو لا يتهاون في أدائها، بل يداوم عليها فروضاً وسنناً ونوافل: (إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)[٥]. وقال تعالى: (والذين هم على صلاتهم يحافظون)[٦]

وقال تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)[٧]

والويل للذين يسهون عن الصلاة ولا يحافظون عليها ولا يداومون على أدائها (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[٨]

إن الصلاة هي الدواء الناجع في هذا العصر المادي الذي شاع فيه القلق حتى أطلق عليه: عصر القلق، دواء للنفوس القلقة التي تريد أن

---

(١) الآية الكريمة من سورة طه (٢٠: ١٤)

(٢) الآية الكريمة من سورة الجمعة (٦٢: ٩)

(٣) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩: ٤٥)

(٤) الآية الكريمة من سورة المؤمنون (٢٣: ٢)

(٥) الآية الكريمة من سورة المعارج (٧٠: ٢٣)

(٦) الآية الكريمة من سورة المعارج (٧٠: ٣٤)

(٧) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ٢٣٨)

(٨) الآية الكريمة من سورة الماعون. (١٠٧: ٥)

تطمئن وتستشعر حلاوة الإيمان والسعادة، فليس كذكر الله يُطمئن النفس، والصلاة هي ذكر الله من أقرب مكان إليه: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[1] وقال تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله)[2]

إن الصلاة كنز للمؤمن الخاشع فيها، الدائم على إقامتها، المحافظ عليها. فليس أسعد من المؤمن حالاً، ولا أرجى منه مآلا، وهي الشفاء من القلق، والدواء من الضياع، والملجأ للحزين، والموئل للخائف. لأنها تؤدي إلى الاطمئنان في الدنيا والآخرة.

وقد جمع الأخ العزيز اللواء كامل طه الدبوني أقباساً روحانية عن الصلاة، فأراد ألاّ يستأثر بها، بل آثر أن تكون مشاعة للمسلمين. وربما يخطر على البال، سؤال قدْ يرد على الأذهان، ما للضابط والقضايا الدينية، ولهذه القضايا علماء الدين؟!.

إنه رجل نشأ في طاعة الله، فلم يترك صلاته في أحرج الأوقات وحين أعتقل سنة ١٩٥٩م وحكم عليه بالإعدام، انصرف إلى الدراسات الدينية في المعتقل والسجن، فأصبح يتولى منصب الأفتاء في قضايا الدين للمعتقلين والمسجونين.

وحين أذن الله أن يغادر السجن، درس علوم الدين على المرحوم الشيخ فؤاد الآلوسي عليه رحمة الله، وبقي ملازماً للشيخ حتى توفاه الله.

وقد سمعت ثناءً عاطراً على الشيخ الدبوني من شيخه الآلوسي لما لمسه فيه من حرص على التعلم والعلم، وإتباع العمل بالعلم. وكان ولا يزال يقتني أمهات الكتب الدينية ويتدارسها بشوق وإمعان، ويفضل الأحاديث لدينية على غيرها من الأحاديث. لا عجب أن أطلق عليه يوم كان في

---

(١) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٢٨)

(٢) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٢٨)

المعتقل والسجن، وبعد تتلمذه على الشيخ الآلوسي عليه رحمة الله. وحتى هذا اليوم، لقب الشيخ كامل، وسأبقى أضفي عليه هذا اللقب الجليل. لأني أعتبر لقب الشيخ، من أجل الألقاب العلمية وأقربها إلى روح الإسلام.

إني أوصي بقراءة هذه الدراسة والاستفادة منها، كما استفدت من قراءتها.

والله أدعو أن يجعل دراسته خالصة لوجهه الكريم. والحمد لله كثيراً. وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(مقدمة الكتاب)

الصلاة نور وهداية، ومناجاة لله تعالى، واتصال به وهي أهم ركن من أركان الإسلام. فهي خير الأعمال، لأنها تنزيه الله وحمده، والثناء عليه وعبادته. فهي بهذا عماد الدين. من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة. وانها دليل الإيمان بدليل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان).

والصُلاة إذا ما أديت بحضور قلب، وبأن يعي صاحبها ما يقول ويناجي ربه بها. تصبح وسيلة قوية لاتصال النفس بخالقها، فتكون خاضعة له. فتتهذب وتطهر. فتكف عن الذنوب والآثام، لأنها دائماً تذكر الله وتراقبه. فتجعل من المصلي رجلاً تقياً نقياً صالحاً، ذاكراً لربه، لن يغفل عن ذكره تعالى لحظة واحدة. فتتحسن أخلاقه وخلقه، فتراه بحسن إلى الذين يتعامل معهم ومخلصاً في عمله. والصلاة حق الله تعالى في عباده وخلقه. فالذي يؤديها يكون قد أدى فريضة واجبة عليه في عنقه. لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد من خلقه شيء سوى العبادة، قال سبحانه: (وما خلقتُ الجن والأنس إلا ليعبدون)، كلفهم بعبادته وطاعة أوامره واجتناب نواهيه. وأن هذه العبادة تعود عليهم بالسعادة في الدارين. وأن الصلاة من ضمن هذه العبادات. ففي حديث رواه النسائي وابن حبان والحاكم من حديث ابي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر إلاَ فتحت له أبواب الجنة. يدخل من أيها شاء. ثم تلا: إن تجتنبوا كبائر ما

تنهونَ عنه نكفِّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً)(١) ولكن الصلاة التي يرضاها الله تعالى والتي تؤثر في النفس هي التي أمر بها سبحانه وتعالى وبينها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في حديث رواه البخاري (... صلوا كما رأيتموني أصلي). فيجب أن تقام الصلاة ضمن شروطها التي حددها الشرع، ومنه سباغ الوضوء والوقوف بخشوع بين يدي الله تعالى والاعتدال في الأركان وإكمال الركوع والسجود، وأن تقام في أوقاتها التي حددها الشرع، فالذي يصلي قبل دخول الوقت مثل الذي يصلي بعد فواته، والطهور واستقبال القبلة وستر العورة. وأن يعي ما يقول وما يقرأ من آيات الذكر الحكيم ومن الدعاء. فالذي يخل بالصلاة ويقصر بشيء من شروطها يفقد تأثيرها، ويجوز أن يخسر ثوابها.

كان هدفي عندما قدمت على كتابة هذا البحث تذكير العارفين وتوجيه الغافلين وتعليم الجاهلين بما يتطلب منهم لإقامة صلاتهم وفق شروط الشريعة الغراء. وقد لاحظت أن قسماً كبيراً من المسلمين قد تركوا الصلاة أو تساهلوا بها. فقسم منهم يؤخرها عن أوقاتها، وقسم آخر يصلي يوماً ويترك أسبوعاً أو يصلي فقط في أيام الجمع وفي شهر رمضانِ، وقسم ثالث يترك الصلاة ولا يكون عنده نصيب منها.

وعلى هؤلاء وهؤلاء وجهت الضوء بصورة جلية ليتذكر من يتذكر، وليعلم تارك الصلاة بأن عمله قد يرقى إلى الكفر الذي يخرج الإنسان من ملة الإسلام، أو لا يبقي له إلاّ الانتساب فقط. فقد أخرج الدارمي في سننه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس بين العبد وبين الشرك أو بين الكفر إلا ترك الصلاة) وهذا الحديث الشريف هو توضيح للآية الكريمة من سورة الروم، قال تعالى: (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين).

---

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤- ٣١)

إنها دعوة خالصة للإصلاح، ولتوجيه الناس إلى أهم ركن من أركان الإسلام، فبإقامة الصلاة تكون النفس قد صلحت وإبتعدت عن ماديات الحياة فتتوجه هذه النفس إلى خالقها سبحانه وتعالى بالذكر والضراعة والخضوع، فتتجدد قواها وتتحفز إلى العمل الجاد المفيد والأمل في وجه الله الكريم، فينقطع عنها حب الدنيا ويستقر فيها حب الله تعالى، فتكف هذه النفس عن الذنوب والآثام نتيجة هذه المحبة ولخشيتها من الله تعالى.

إن مجتمعاً هذه أفراده يكون سعيداً، لأنه قد وصل إلى درجة عالية من الصلاح والكمال والخلق الحسن، ويكون متنزهاً من إيتاء الفواحش والمنكرات. هذا. ولأهمية موضوع قيام الليل، لأنه عبادة صافية خالصة لله تعالى وبعيدة عن الرياء، يقوم بها العبد بتيقظ وسكون نفس بعد الفراغ من العمل، ولعظم الأجر والثواب الحاصل للذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، لذا فقد أفردت له فصلاً خاصاً الحقته بالبحث، بعد أن درسته بشيء من التوضيح والتفصيل.

اللهم أهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شرّ ما قضيت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٥/٧/١٩٧٩ الموافق ١/رمضان ١٣٩٩

بغداد مدينة اليرموك الوجبة الخامسة

اللواء المتقاعد كامل طه الدبوني

بسم الله الرحمن الرحيم

(إقامة الصلاة)

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١ - تمهيد

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ضعيفاً، ضعيفاً في كل شي في بدنه، وفي قابليته، وفي مقاومته للمؤثرات التي تحيطه، تتنازعه قوى كثيرة، مادية ومعنوية، تنقاد نفسه إليها حيناً، ويطمع للحصول على ما تهواه نفسه، ويقع فريسة لأعدائه حيناً آخر.

قال تعالى: (وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً)[١]. وقال سبحانه: (إن الإنسان خُلِقَ هلوعاً، إذا مسّهُ الشرُ جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً)[٢] فهذه الصفات المتصف بها هي من الصفات المذمومة، فالأمر يتطلب التسلح بقوة روحية ترفع من نفسيته إلى المثل العليا، وتجعله يسير بطريق تؤدي به إلى السعادة والنجاح.

فأنقذه الله تعالى بارساله الرسل وبشرائعه السماوية والتي آخرها شريعة الإسلام التي ختم بها الرسالات وبرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل، تلك الرسالة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لعباده والتي

---

(١) سورة النساء /٢٨

(٢) سورة المعارج /١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣

أرسلها عندما اكتمل نضوج عقل الإنسان وتفكيره وتقدمه في الحضارة.

فلا بد لهذه القوة الروحية من انقاذ الإنسان واصلاحه، وأن تجعله ينقاد إلى بارئه ويطيع أوامر ربه سبحانه وتعالى، ولو كانت تتعارض مع رغباته الشخصية، لأن أوامر الله تعالى فيها صلاح الإنسان، وصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، ولا بد لهذه القوة من أن تحقق فيه روح الاعتماد على الله تعالى وإلتماس القوة والعون منه سبحانه وتعالى، وإن هذا كله يحصل بـ(الصلاة). فقد استثنى سبحانه من هؤلاء المتصفين بتلك الصفات المذمومة المتصف بها هذا الإنسان، استثنى المؤمنين المحافظين على سلامة فطرهم، وقد ذكرهم سبحانه بأهم صفة من صفات الإيمان، قال تعالى: (إلا المصلين).(٢) هؤلاء المصلون المخلصون لله تعالى في التوجه إليه باخلاص، والخشوع لعظمته بكامل العبودية، فبذلك تأخذ نفس الإنسان إلى الاعتدال بكل شيء، وتثبت في كل ما يجري حولها أو عليها من خير أو شر، فتتهذب روحه ويفيض عليها من الكمال وعلو الأخلاق الشيء الكثير، بحيث يتمكن من مقاومة أعدائه الكثيرين، ويعطيه من القوة والمقدرة بحيث يستطيع مواجهة أعظم المشاكل دقة دون أن يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً، هؤلاء المصلون الذين قال عنهم الباري عز وجل (الذين هم على صلاتهم دائمون)(٢)، بحيث لا يشغلهم عنها ولا عن إدراك معانيها شاغل، فأصبحت الصلاة صفة من صفات المؤمنين، وخُلقاً حسناً من اخلاقهم.

٢ - الصلاة حق الله تعالى

إن الصلاة هي حق الله تعالى على عباده، فهي مشتمله على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهال إليه ودعائه والتوكل عليه، فإنه سبحانه وتعالى لم يكلف أحداً من خلقه شيئاً سوى العبادة، قال عز وجل (وما

---

(٢) سورة المعارج /١٩/٢٠/٢١/٢٢/٢٣

خلقتُ الجن والأنس إلا ليعبدون)[٣] كلفهم بعبادته وطاعة أوامره واجتناب نواهيه خاصة وأن هذه العبادة وهذه الشريعة تعود إلى البشر بالسعادة في حياتهم في الدارين، لأنها تهذب طبائعهم وتصلح سرائرهم وتُكوّن الأخلاق الحسنة لديهم. إنه سبحانه خلق البشر مستعداً لأن يكون مخلوقاً ممتازاً، ثم اشفع هذا الاستعداد بما يربيه وينميه، وهو قواعد الدين الحنيف وتعاليمه في نفوسهم، إن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أحد من خلقه، قال سبحانه: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعمون)[٣] إن الله هو المتفضل على عباده برزقهم وبما يصلح في معيشتهم فقال: (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[٣] إنه تعالى لم يطلب منا إلاّ العبادة والصلاة، أما الرزق فهو يأتينا من حيث لا نحتسب. إن المؤمن إذا حرم زينة الحياة الدنيا وزخرفها فهذا ليس بشيء عند الله ذلك لأنه سينال من ربه في الآخرة الجزاء الأوفى، ولذا طلب منا الباري عز وجل العبادة ومنها الصلاة، قال سبحانه: (وأمر أهلك بالصلاة وإصطبر عليها)[٤] بأن يأمر أهله بالصلاة وأن يثابر عليها غير مشتغل عنها بأمر المعيشة التي تكفل الله بها (لا نسألك رزقاً نحن نرزقك)[٤]، إن الله هو الرزاق وذلك بعد السعي والمثابرة (والعاقبة للتقوى)[٤].

٣- فرضيتها

أ- فرضيتها على جميع المخلوقات:

إن جميع المخلوقات في السماوات والأرض تسبح لله تعالى وتنزهه، قال سبحانه: اتسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإنْ من شيء إلاّ

---

(٣) الذاريات /٥٦، ٥٧، ٥٨

(٤) طه /١٣٢

يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً)[٥] وقال جلَّ وعلا، (ألم ترَ أن الله يسبح له مَنْ في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)[٦].

قال علماؤنا: إن الصلاة بمعناها العام هي للإنسان، وإن التسبيح لغيره من المخلوقات.

وإن التسبيح في اللغة: الابتعاد عن السوء، وفي الشرع: (تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله) فلا يبعد أن تسبح المخلوقات، لأن الله يلهمها كما ألهمها دقائق من خصائص الإدراكات والهدايات، وهذا الأمر لا يدركه العقلاء. فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطى لكل شيء خلقه الهداية اللازمة له ولذا فإن سائر المخلوقات لا بد أن تلهم ما يناسبها من الصلاة والتسبيح.

قال عز من قائل (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)[٧]. فإن تسبيح الجبال تسبيحٌ حقيقي، وقال بعض المفسرين: إذا ذكر النبي داوود عليه السلام ربه، ذكرت الجبال والطير ربها معه، لأن الله سبحانه وتعالى يجعل لها إدراكات تسبح بها يعلمها هو جلَّ وعلا، ونحن لا نفقهها، كما قال سبحانه (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم).[٥] وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ في مكة). كما وثبت في صحيح البخاري أن الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم قد سمع له حنين لما انتقل عنه بالخطبة إلى المنبر.

---

(٥) الأسراء /٤٤

(٦) النور /٤١

(٧) الأنبياء /٧٩

وقال تعالى: (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)[٨] فالرعد هو الصوت الذي يحدث من اصطدام كُتل السحاب واتصال بعضها ببعض. والمراد من التسبيح هنا الإيذان بتنزيه خالقه سبحانه، كما أنه يدل على عظمة خلقه وأنه يستحق لأن يعبد ويحمد، وأن الملائكة تسبح كذلك من هيبته وجلاله تنزهه وتخافه، والأعم من ذلك وأشمل، خضوع وانقياد جميع من في السماوات والأرض لله سبحانه وتعالى طوعاً وكرهاً، قال تعالى: (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال)[٩]. فالانقياد والخضوع يشمل ذواتهم وصفاتهم، ومنها ما هو واضح ظاهر للعيان كالظلال الذي خُص بالذكر حيث يطول ويقصر في أوقات النهار المختلفة.

ب- فرضيتها على الأقوام قبل رسالة الإسلام:

ولأهميتها فُرضت على البشر منذ خَلَقَ الله سيدنا آدم عليه السلام، فإن أول صلاة صلاها هي صلاة الفجر.

وقد تبعه جميع أنبياء الله والمرسلين وأقوامهم في إقامة الصلاة، ويذكر لنا القرآن الكريم الشيء الكثير عنهم.

قال عز من قائل: (وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُكع السجود)[١٠] فذكر سبحانه عهده إلى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، بأن يطهرا بيته (وهي الكعبة المشرفة) لأجل الطواف والاعتكاف والصلاة.

وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام. (رب إجعلني مقيم الصلاة

---

(٨) الرعد /١٣

(٩) الرعد /١٥ وتلاوة الآية توجب السجدة لله.

(١٠) البقرة /١٣٥

ومن ذريتي)[١١]، وقال تعالى لرسوله موسى عليه السلام، (إنني انا الله لا إله إلا انا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري)[١٢] وقال سبحانه آمراً بني إسرائيل: (واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة)[١٣]. وقال تعالى عن رسوله زكريا عليه السلام: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب)[١٤]. وقال جلَّ وعلا عن رسونه اسماعيل عليه السلام ذاكراً له بصفة المدح:

(وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة)[١٥]

وقال سبحانه: (يا مريم أقنتي لربك وأسجدي وأركعي مع الراكعين)[١٦]

وقال تعالى حكاية عن لقمان، (يا بُني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)[١٧]

وقال سبحانه عن لسان رسوله عيسى بن مريم عليه السلام: (وجعلني مباركاً أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمتُ حياً)[١٨] وذكر سبحانه وتعالى وحيه إلى أنبيائه جميعهم عليهم السلام: (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة)[١٩] ذكر سبحانه الأعمال الصالحة بمجموعها، وأفرد الصلاة بالذكر ثم الزكاة لأهميتها.

---

(١١) إبراهيم /٤٠

(١٢) طه /١٤

(١٣) يونس /٨٧

(١٤) آل عمران /٣٩

(١٥) مريم /٥٥

(١٦) آل عمران /٤٣

(١٧) لقمان /١٧

(١٨) مريم /٣١

(١٩) الأنبياء /٧٣

وقال سبحانه عن أهل الكتاب: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جائتهم البينة، وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٢٠).

فهذه الآيات بمجموعها تدل على أن الصلاة مفروضة على جميع الأقوام منذ خلق الله آدم عليه السلام، لأنها حق الله تعالى ومن أهم العبادات.

ج- فرضيتها في الإسلام:

إن أول ما فُرض من الصلوات على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، فكان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، بالإضافة إلى صلاة الليل وقيامه، وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار)(٢١) فالابكار أول النهار، والعشي آخره. وقوله تعالى، (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)(٢٢) وقوله جل شأنه: (ومن الليل فسبحه وإدبار السجود)(٢٣).

ادبار السجود: أي بعد انتهاء الصلاة.

وقوله سبحانه: (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)(٢٤)

ولأهمية الصلاة، فقد فرضها الله سبحانه وتعالى على نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام في السماء ليلة الاسراء والمعراج. وقد فرض عليه خمس صلاوات، وجاء فرض الصلاة قبل معظم أركان الإسلام، وقد ذكرت في آيات كثيرة في القرآن، قال سبحانه: (منيبين إليه واتقوه وأقيموا

(٢٠) البينة /٤، ٥

(٢١) غافر /٥٥

(٢٢) سورة ق /٣٩

(٢٣) سورة ق /٤٠

(٢٤) الطور /٤٩

الصلاة ولا تكونوا من المشركين)[٢٥]

فإنابة: هي الأقبال إلى الله مبتعداً عن غيره، وأمرنا بالتقوى، وخص الصلاة (وهي أحد أعمال التقوى) بالذكر، لأنها أهم ركن من أركان الإسلام، وأعظم عنصر من عناصره، إنها مناجاة الله سبحانه وتعالى خمس مرات في النهار والليل. فهي تغذية للنفس وإصلاح للروح حيث تدفع بها إلى الكمال المنشود لبني البشر.

وقال سبحانه: (اتلُ ما أوحي إليك من الكتاب)[٢٦]، إنها دعوة إلى الحق (وأقم الصلاة) بأن يأتي بها مُقامة على الوجه الأكمل، وأن يعي ما يقول وما يناجي بها ربه.

وذكر سبحانه في أول سورة البقرة بعض صفات المتقين فقال:

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فهذه الصفات الثلاث هي أهم الأمور التي تصلح الروح وتدفعها نحو الكمال، ذلك لأن الإيمان بالغيب هو أعلى درجات الإيمان واليقين، وإقامة الصلاة التي تصلح الروح وتجعل الإنسان دائم الاتصال بربه. والانفاق في سبيل الله في أوجه الخير والإحسان ينشر روح المساعدة والمحبة بين الناس، هذه الصفات تجعل النظم الاجتماعية على أحسن وجه من الصحة والاعتدال.

والأحاديث في فرضيتها كثيرة، نذكر منها:

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان).

---

(٢٥) الروم /٣١

(٢٦) العنكبوت /٤٥

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الصلوات الخمس عماد الدين، لا يقبل الله الايمان إلا بالصلاة).
عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم، ونور المعرفة، وأصل الايمان، وأجابة الدعاة، وقبول الأعمال، وبركه في الرزق، وراحة في الابدان، وسلاح على الأعداء، وكراهية للشيطان، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس زائر معه في قبره إلى يوم القيامة، فإذا كانت القيامة، صارت الصلاة ظلاً فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار، وحجة للمؤمنين بين يدي الرب تبارك وتعالى، وثقلاً في الموازين، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنة، لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وأن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها) رواه الشيخ نصر بن محمد السمرقندي في كتاب تنبيه الغافلين.

٤ - إقامة الصلاة دليل الإيمان:

في حديث رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بالايمان- قال الله عز وجل «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»). ذلك لأن الايمان هو إقرار باللسان وتصديق بالجنان ويصدقه العمل الصالح بالجوارح. لم نكلف بأن نشق قلوب الناس للتعرف على درجة إيمانهم، فإن علم ذلك عند الله، إنما هي أعمال تصدر عن الإنسان تنم عن دخيلته واتجاهه وإيمانه، فجميع أركان الإسلام يمكن تأديتها، وليس

كلها يفُطن إلى صاحبها، فالشهادة ينطقها العبد بلسانه، والزكاة يؤديها المكلف عند وجود النصاب من ماله ويمر عليه الحول، الأمر الذي يجعل المكلفين قلة لا يُفطن إليهم، كذلك الحج مفروض على المستطيع، ولعل عدد غير المستطيعين يفوق في كل الأوقات عدد المستطيعين.

وبقي لدينا مِن أركان الإسلام: الصلاة المكتوبة، وصوم رمضان. فصيام رمضان مكتوب على كل مسلم قادر وفق شروطه بدون استثناء، والذي لا يطيق الصوم شرعاً يؤدي الفدية بدل صومه. وكذلك الصلاة، فإنها مكتوبة على العبد المسلم يؤديها ما دام عنده وعي، لأنها عماد الدين وحق الله تعالى ولا يقبل الله إيمان العبد إلا بالصلاة، فوجوب الصلاة أمر ثابت، ومدارها العقل، فما دام الإنسان على درجة من الوعي فإنه تجب عليه، وإقامتها دليل الإيمان.

روى الطبراني في الأوسط والصغير عن ابن عمر رضي الله عنهما إنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (لا ايمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(مثل الإسلام كمثل الشجرة الثابتة، الإيمان بالله أصلها، والصلوات الخمس فروعها، وصيام رمضان لحاؤها، والحج والعمرة جناها، والوضوء والغسل من الجنابة شربها، وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها، والكف عن محارم الله ورقها، والأعمال الصالحة ثمرها، وذكر الله عروقها) ثم قال صلى الله عليه وسلم (كما لا تحسن الشجرة ولا تصلح إلا بالورق الأخضر، كذلك لا يصلح الإسلام إلا بالكف عن المحارم).

وكان آخر ما أوصى به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته عند

خروجه من الدنيا، (الله الله في الصلاة وفيما ملكت إيمانكم).

وعلى المصلي تأديتها وهو قائم، فإذا تعذر على بعض الناس الإتيان ببعض الأعمال البدنية من سبب المرض أو الشيخوخة، فإن ذلك لا يسقط عنه الفريضة، بل تبقى العبادة القلبية، فيؤدي الصلاة وهو جالس أو في أية صورة يستطيعها، لأن العبادة القلبية هي روح الصلاة، فإنه يجب أن لا يشغلنا عن العبادة شاغل، ولا يذهلنا عنه تعالى شيء من الأشياء بأي حال من الأحوال.

قال تعالى في صلاة الخوف، (فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً)[٢٧] أي كيفما أتفق مشاة أو راكبين بحيث لا يمنعكم ملاحمة القتال ولا مقاومة العدو عنها، (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)[٢٧] فبعد زوال الخوف وانتشار الأمن، فأتموا الصلاة كما علمكم الله، وقد عبر هنا عن الصلاة بالذكر، لأن الذكر معظم أركانها.

روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب).

وروى البيهقي بسند قوي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمريض صلِّ على وسادة، فرمى بها وقال: (صلِّ على الأرض إن استطعت، وإلا فأوم إيماءاً واجعل سجودك اخفض من ركوعك)

فالواجب على الإنسان أن يؤدي في ركوعه وسجوده حسب ما يقدر عليه، قال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

---

(٢٧) البقرة /٢٣٩

٥- معنى الصلاة:

الصلاة: مشتقة من الفعل صلّى (مضعفاً)، تقول: صليتُ صلاة، ولا تقول (تصلية)، لأن تصلية مشتقة من الفعل صلى (غير مضعف). واسم الفاعل: مُصلٍ، واسم المكان: مُصلًّى.

والصلاة في لغة العرب: الدعاء

ومن هذا الاطلاق قوله تعالى: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) سورة التوبة /١٠٣، وقوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك).

وقال الأعشى:

تقول بنتي وقد قربتُ مرتحلاً
يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي
نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً

يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي.

والصلاة: جمعها صلوات

والصلاة من الله: الرحمة والثناء على عباده.

وصلى الله عليه: بارك الله عليه وأحسن عليه الثناء.

وقد ورد في القرآن الكريم كلمة (صلوات) بمعنى كنائس اليهود، وهي من اطلاق المحل وإرادة الحال.

والصلاة في الشرع: هي ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم.

وهي قسمان: فرض وتطوع.

فالفرض: ما ألزم الله به العباد بفعله وتوعد تاركه بالعقوبة، وهي الصلوات الخمس.

والفرض قسمان، فرض عين:- مثل الصلوات الخمس المذكورة.

والثاني فرض الكفاية: يلزم كل من حضر، فإذا قام بهذا الفرض بعض المسلمين سقط الواجب عن سائرهم، وإذا لم يقم أحد بتأديته أثموا جميعاً، مثل الصلاة على جنائز المسلمين. وركعات الفرائض سبع عشرة ركعة: الصبح ركعتان والمغرب ثلاث ركعات وكل من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، وفي السفر تقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين.

وأما التطوع: فهو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، كالرواتب التابعة للفرائض والضحى والتراويح.

ويلاحظ أنه لم يرد ذكر الصلاة أو المصلين على وجه المدح أو عند الحث عليها إلا مع لفظ (الإقامة) أو ما يشتق منها، مثل اقام ويقيمون وهكذا، ولكن عندما لم تذكر معها كلمة (الإقامة) فيدل المعنى على أنها لم توف حقها، بل الاتيان بها بهيئتها فقط، كما في قوله تعالى: (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) فقد ذكر سبحانه كلمة (يأتون) ولم يذكر (يقيمون). فإقامة الصلاة هي اداؤها مع حضور قلب في مناجاة الله تعالى والمحافظة على مواقيتها وإسباغ الوضوء بها وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي وعلى آله.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إقامة الصلاة: تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها.

وعن قتادة رضي الله عنه أن معنى إقامة الصلاة: المحافظة على الأوقات وإسباغ الوضوء والاعتدال في الأركان.

٦- صفة الصلاة:

أن تؤدى بالهيئة التي اختارها الله تعالى، لأنها أفضل معين على استحضار سلطان الله وتذكر كرمه واحسانه، فإن قولك، (الله أكبر) في

استفتاح الصلاة، وعند الانتقال من عمل إلى عمل يعطيك من الشعور بأن الله أكبر وأعظم من كل شيء تنشغل به نفسك أو توجه إليه همك.

وفي قراءة الفاتحة من الثناء على الله تعالى وتذكر رحمته وربوبيته وتعاهدك بتخصيصك إياه بالعبادة والاستعانة: (إياك نعبد وإياك نستعين) تدعوه لأن يهديك صراطه المستقيم فأنت ناظر بقلبك إلى مولاك العظيم تناجيه وتدعوه مستعيناً به لأن يوفقك لما يحبه ويرضاه.

وكل ما تقرأه من القرآن بعد الفاتحة له في النفس آثار محمودة- إن تفكرت به- يعطيك من المعارف العالية والحكم البالغة والعبر العظيمة والهداية القويمة.

وإذا ركعت فتفكر في نفسك فكأنك تقول: يا رب إني خضعتُ بين يديك وجئت بهذه النفس العاصية إليك، لعلك تعفو عني وترحمني، ثم تقول: (سبحان ربي العظيم) تضرعاً إلى رب عظيم مولى كريم- ثم ترفع رأسك من الركوع وتقول: (سمع الله لمن حمده) أي غفر الله لمن حمده وأطاعه، ثم تقول (ربنا لك الحمد) لك الحمد إذ وفقتنا لهذا، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ثم تسجد، والسجود هو الميل بالذل والاستسلام والانقياد والتواضع لرب العزة، بحيث تكمل مقام الذل للعزيز الرحيم، وتتذكر عظمة الإله المعبود ونعمه التي لا تحصى، يا رب إنك صورت وجهي على أحسن الصور، وجعلت فيه البصر والسمع واللسان، فهذه الأشياء النافعة لي جئت بها وألقيتها بين يديك رجاء فضلك وكرمك وعفوك.

ليستشعر كل منا الصورة، بتنقل المؤمن من حالة إلى حالة،

يقف أمام الله تبارك وتعالى منادياً خاشعاً خاضعاً لأوامر الله تعالى ومنيباً إليه. ويزيد هذا الخضوع عند ركوعه، فتخضع جوارحه أمام عظمة الله وجلاله. وبعدها يضع رأسه على الأرض حتى تمس جبهته التراب

ومظهراً غاية الافتقار إلى الله تعالى وغاية التذلل والعبودية، فهذه الحالة هي التي ترتقي بالمؤمن إلى الراحة والطمأنينة وسكون النفس فينال سعادة الدنيا والآخرة.

ثم تقول في السجود: (سبحان ربي الاعلى) أي تنزه ربي الأعلى الذي لا شيء فوقه، وإذا جلست للتشهد وقرأت (التحيات لله) الحمد والثناء (والصلوات) أي الصلوات الخمس لله عز وجل (والطيبات) الزكيات لله تعالى.

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) السلام عليك يا رسول الله كما بلغت رسالة ربك ونصحت الأمة فعليك رضوان الله، عليك البركة وعلى أهل بيتك الطاهرين، (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) مغفرة الله تعالى لنا وعلينا وعلى جميع من مضى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين (أشهد أن لا إله إلا الله) فإنه لا معبود بحق في السماء والأرض غير الله، (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) خاتم أنبيائه وصفيه وخيرته من خلقه، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وتدعو لنفسك وللمؤمنين وتسلم على يمينك وعلى يسارك (السلام عليكم ورحمة الله).

على المرء أن يصلي كما كان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً بالحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في السنن الكبرى عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: (كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجل فدخل المسجد فصلى، فلما قضى صلاته جاء فسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليك، ارجع فصل إنك لم تصل، فرجع فلما قضى صلاته جاء فسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليك، أرجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، فذكر ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال الرجل: لا أدري ما عِبتَ عليّ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ويغسل رجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله ويحمده ويمجده، ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر، ثم يكبر فيركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يقول: سمع الله لمن حمده، ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عضو مأخذه ويقيم صلبه، ثم يكبر ويسجد ويمكن جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه، فوصف الصلاة وهكذا حتى فرغ، ثم قال: لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك).

٧- شروط صحة الصلاة:

ولكون الصلاة أقرب إلى إرجاع النفس البشرية إلى الله تعالى لما لحقيقتها من التأثير في الروح إذا اديت كاملة ضمن هذه الشروط:

أولاً: أن تؤدى بخشوع وحضور قلب.

قال الله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)[٢٨]. وردت تفسيرات كثيرة لقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) منها أن المراد بها ساكتين ساكنين، لأن القنوت: هو التواضع لله تعالى، وقال مجاهد: من القنوت الركوع والخشوع وطول الركوع، يعني طول القيام وغض البصر وخفض الجناح والرهبة لله، فحسن الصلاة وتمامها بأن تؤدى بحضور قلب وتعقل لما يقوله المصلي، لقوله صلى الله عليه وسلم، (يكتب لاحدكم من صلاته ما عقل منها)، وأن تؤدى على الدوام، وبتواضع لله تعالى، لأنها عمل قلبي يغذي الإيمان.

والخشوع في الصلاة هو لُب الصلاة، ويكثر ثوابها على درجة خشوع

---

(٢٨) البقرة /٢٣٨

المصلي في صلاته، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الخاشعين في صلاتهم بأنهم (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)[٢٩] وقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون)

قال: الخشوع في القلب، وأن تلين كنفك للمرء المسلم وأن لا تلتفت في صلاتك.

وأصل الخشوع لغة: السكون والطمأنينة والانخفاض وهو في الشرع: خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح، وهو من صفات المؤمنين المفلحين، وقد بيّن سبحانه أن من لم يتصف بالخشوع تصعب عليه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)[٣٠] وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أن الخشوع هو السكون في الصلاة.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبصر رجلاً يعبث بلحيته فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه).

ولأجل تأمين الخشوع في الصلاة عليك:

أ- الاستعاذة من الشيطان الرجيم، وتدبر قراءة الصلاة وأنواع الذكر فيها.

ب- جعل ما يواجه المصلي خالياً من النقوش أو الكتابة لما يجلبه من اشتغال المصلين في النظر إليه.

حـ- النظر إلى موضع السجود في اثناء القيام، والنظر على الأقدام عند الركوع، وأن يلامس الأنف الأرض مع الجبهة، والنظر على الأيدي عند الجلوس.

---

(٢٩) المؤمنون /١١

(٣٠) البقرة /٤٥

د- أن يدخل الإنسان في الصلاة خالي البال عن كل ما يشغله ويصرف قلبه عن الصلاة كالنوم- والطعام.

ولهذا السبب جاء النهي عن الصلاة حال حضور الطعام، أو عند مدافعة الأخبثين، لأن ذلك مما يسبب الشغل عن الصلاة.

هـ- ذهب قسم من العلماء منهم الغزالي وابن الجوزي رحمهما الله، إلى بطلان صلاة من غلبت صلاته الوساوس.

و- إن حضور القلب هو أن تنطق الألسن بما تعيه العقول، وهذا لا يكون إلا بالتدريب والمران، بأن لا يحدث نفسه بشيء في أثناء الصلاة.

ثانياً: دخول وقتها:

قال الله تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)[٣١] فلا بد لصحة الصلاة من دخول الوقت علماً أو ظناً غالباً، إذ لا يخاطب المسلم بأداء الفريضة إلا بعد دخول وقتها.

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الأوقات في أماكن كثيرة من القرآن الكريم، كما وأن السنة قد أوضحت هذه الأوقات إيضاحاً تاماً، قال تعالى: (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)[٣٢]، دلوك الشمس: زوالها عن كبد السما، وعلى التحقيق يشير إلى وقتي الظهر والعصر، (إلى غسق الليل) وهو ظلامه، ويشير إلى صلاة المغرب والعشاء. (وقرآن الفجر) صلاة الصبح، وقد عبر عنها هنا بالقراءة وأن قرآن الفجر تشهده الملائكة وقال تعالى: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين

---

(٣١) النساء /١٠٣

(٣٢) الاسراء /٧٨

تظهرون)[٣٣] فالمراد بالتسبيح الصلاة، وأشار في قوله (حين تمسون) إلى صلاة المغرب والعشاء، (وحين تصبحون) إلى صلاة الصبح، (وعشياً) إلى صلاة العصر، (وحين تظهرون) إلى صلاة الظهر.

هذا وأن كتب السنة المطهرة قد أوضحت أول كل وقت وآخره، فالواجب على الإنسان أن يتوخى الصلاة في وقتها.

ثالثاً: الطهور:

الطهور: لغة- النظافة، وشرعاً: فعل ما تستباح به الصلاة من وضوء وغسل وتيمم وإزالة نجاسة.

قال سبحانه وتعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)[٣٤]

والمطهرين: يعني المتطهرين.

والتطهير هي صيغة مبالغة، ولذا فإنها تشمل الطهارتين النفسية والبدنية، والله سبحانه يحب المتطهرين.

ولما كانت الصلاة من أعظم مظاهر الإيمان، والتي بها يحفظ كيان الأعمال الصالحة، وتجعل الإنسان يلازم هذه الأعمال، بحيث يصبح صاحبها يسير في الطريق التي تؤهله لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، أمرنا الله سبحانه وتعالى بالطهور عند الدخول بها:-

وهي تشمل طهور البدن والثوب والمكان للصلاة حيث أن ذلك واجب، فيقف المصلي متطهراً من الأدناس والأرجاس، زكية نفسه، فبذلك تسمو الروح ويحصل الرضوان الأكبر من الله تعالى، إن شاء الله،

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا

---

(٣٣) الروم /١٧، ١٨

(٣٤) التوبة /١٠٨

وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جُنباً فاطهروا)[٣٥]. وتفاصيل فرائض الوضوء وسننه مثبتة في كتب السنة الشريفة. والمهم أن يكون العبد مقيماً للصلاة، لأنه لا عذر لتركها، وأن الوضوء والطهارة من شرطها، وحكمة شرعها لنا لفائدتنا، قال تعالى:

(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)[٣٥]، لأن الله تعالى غني وإنما يريد فيما شرعه لنا فائدتنا ومصلحتنا (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)[٣٥]. الشكر لله.

أخرج ابن المبارك وابن ماجه من طريق سالم بن أبي الجعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استقيموا ولن تحصوا، وأعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول) متفق عليه. وروى النسائي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (من أتم الوضوء كما أمر الله، فالصلوات الخمس كفارات لما بينهن).

إن الأرض اليابسة كلها طاهرة، فالمسلم يصلي حيثما أدركته الصلاة إلا في موضع جاء النص بالمنع من الصلاة فيه، ففي حديث رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ).

وروى الحاكم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة) ورواه كذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه في الأم عن عمرو بن يحيى عن أبيه.

وروى الإمام مسلم والنسائي والحكيم الترمذي عن أبي مالك الأشعري

---

(٣٥) المائدة ـ/٦

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)

إن الطهور شطر الإيمان أي جزء منه أو نصفه لعظم شأنه، فتتوقف صحة العبادة عليه في الاعتبار والثواب، والصلاة نور لصاحبها في القبر، وفيما بعده، قال تعالى، (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم)(٣٦). والناس يغدون فمنهم من يبيع نفسه في مرضاة الله فهو يعتقها من النار، ومنهم من يبيعها في هواه ومرضاة الشيطان فهو يبيعها إلى النار فتهلك.

رابعاً: استقبال القبلة:

القبلة: هي الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، فيجب على الذي يشاهدها أن يستقبلها بعينها، وأما البعيد الذي لا يراها فيجب عليه أن يستقبل جهة المسجد الحرام، قال الله تعالى، (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)(٣٧)

إن الله سبحانه قد فرض على المسلمين استقبال المسجد الحرام في صلاتهم وعباداتهم بغية اجتماع ملة الإسلام على كيفية واحدة واتجاه واحد عند توجههم إليه تعالى، لأنها تؤمن وحدتهم في العبادة عند اتجاههم الى جهة واحدة في عبادة الله، فيتكون من ذلك قوة روحية ومادية لا تنفصم عراها.

---

(٣٦) الحديد /١٢

(٣٧) البقرة /١٤٤

خامساً، ستر العورة:

على المصلي- لتصح صلاته- أن يستر عورته، والعورة هي ما يستحيا من كشفها، والعورة لغة: العيب وهي مأخوذة من العوار، حيث يعاب من تبدو عورته ويُعَيّر بذلك.

وشرعاً: هي ما حرم كشفه في الصلاة أو بحضور من لا يحل كشفها بحضرته، لذا يجب على الرجل ستر ما بين الركبة والسرة، لأن ذلك عورة الرجل. أما المرأة: فيجب أن تستر جميع جسمها ما عدا الوجه والكفين. كما أن على المصلي أن يلبس أحسن الثياب في الصلاة وعند ذهابه إلى كل مسجد، حيث يظهر بمظهر لائق، وأن تبدو نعمة ربه على مظهره وملبسه، قال الله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)(٣٨) فإذا وسّع الله عليه، فينبغي أن تظهر عليه آثار نعمة الله كما أن الواجب عليه أن يلبس ثياباً نظيفة طاهرة.

قال الله تعالى. (وثيابك فطهر)(٣٩)، فإن الله جميل يحب الجمال، إلا أنه لا يجوز للرجل أن يلبس ثياب الحرير، أو ما كان على شكل يلهي لابسه عن الخشوع المطلوب في الصلاة، كالملابس المزركشة أو ذات ألوان زاهية.

٨ - بركات الصلاة وفوائدها:

الصلاة كلها خير وبركة، فهي تنزيه الله وحمده والثناء عليه وعبادته، فالذي يقيمها سيكسب من الخير والبركات الشيء الكثير. والآن- عزيزي المؤمن- لنسع معاً لمعرفة بعض هذه الفوائد التي تنال المصلين، والتعرف على مقدار الأجر والثواب الذي ينالونه في الدنيا والآخرة.

---

(٣٨) الاعراف /٣١

(٣٩) المدثر /٤

أولاً: إنها أحب الأعمال إلى الله عز وجل:

في حديث رواه سعد بن إياس قال حدثني صاحب هذه الدار وأشار بيده إلى دار ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل، قال. (الصلاة على وقتها)، قلتُ ثم أيُ؟ قال: (بِرُ الوالدين)، قلت ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). قال: حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أستزدته لزادني متفق عليه.

وهكذا نرى أن أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة المفروضة. وأن تقام في وقتها الذي حدده الشارع، لأن فيها المبادرة إلى نداء الله تعالى والامتثال لأمره، والاعتناء بهذا الفرض، فهي محض حق الله عز وجل.

وروى الأمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أفضل الأعمال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلاة)، قال: ثم مه؟ قال: ثُم الصلاة، قال: ثم مه؟ قال ثم الصلاة ثلاث مرات، قال ثم مه؟ قال: الجهاد في سبيل الله.

وفي حديث رواه الطبراني في الأوسط عن سلمة بن الأكوع وقال فيه صلى الله عليه وسلم: (... واعلموا أن أفضل أعمالكم الصلاة). فبإقامة الصلاة نكون قد أقمنا أحب وأفضل عمل إلى الله تعالى، فننال رضاه إن شاء الله.

ثانياً: الصلاة جزاؤها الجنة:

في حديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط والإمام أحمد باسناد جيد وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوماً فقال: (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان

ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف).

وروى مسلم وأبو داود عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته. فقال لي: (سلني)، قلتُ: فإني أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: (أو غير ذلك) قلت: هو ذالك، قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود). ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم السجود لأنه أهم صفة من صفات الصلاة لما فيه من الرق والعبودية والخشوع للخالق العظيم، فإن الإنسان أقرب ما يكون من ربه عندما يكون في سجوده.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا الدعاء).

وروى الإمام مالك وأبو داؤد والنسائي وأبن حبان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يُضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأتِ بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة). ذلك لأن لله مشيئة بأن يغفر ما دون الشرك، قال سبحانه وتعالى: (إن الله لا يغفرِ أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً)(٤٠). إن ألشرك إثم عظيم وفرية كبيرة وعمل شائن يحط من قيمة الإنسان ويجعله ضائعاً يتخبط في الضلال والإثم، ويقع فريسة للشيطان والهوى.

وروى مسلم عن أبي زهيرة عمارة بن روينة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع

---

(٤٠) النساء / ٤٨

الشمس وقبل غروبها)- يعني الفجر والعصر).

ثالثاً: الصلاة تقر العين وتسكن النفس:

عند دخول العبد في الصلاة فإنه يكون قريباً من ربه واقفاً بين يديه، لا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر للعين ولا ألذ للقلب ولا أنعم للعيش منها، لأنها محل المناجاة والقربة إلى الله تعالى.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه). والمناجاة: مخاطبة الله مباشرة، فهي تُشعر العبد بوجود الله وجوداً حقيقياً. وأنه قريب منه يسمع دعاءه ويلبي نداءه ويستجيب له، فيطمئن بذكره تعالى، وتقر عينه بالمثول بين يديه، فلا شيء أهم عنده منها، فمثله عندما يكون خارج الصلاة، كأنه في سجن وضيق نفس وغم، وعند حضور الصلاة يجد قلبه قد أنفسح وأنشرح، فإذا واظب على هذا العمل خمس مرات في اليوم، تيقظت قواه الروحية، وأحس بأن الله تعالى يمده بالقوة والعون، وأنه سبحانه معه لا يتخلى عنه، فتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، ويمضي إلى غايته من الفوز والنجاح في حياته، وأن ذلك لا يزدهيه، ولا يغلبه الغرور، كما أنه لو قدر فلم يبلغ ما يريد، فأنه لا يحزن ولا ييأس بل يعيد المحاولة واثقاً بالله ومتوكلاً عليه.

هذا بالإضافة إلى أن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر والضراعة والخضوع، الأمر الذي يضفي على النفس السكينة والرضا، فتتجدد قواها وتحفزها إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يشتد عليه الأمر يدعو بلالاً ليؤذن بالصلاة قائلاً له: أرحنا يا بلال بالصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (وجُعلت قرة عيني في الصلاة). وينال هذه الحالة الذي يواظب على الصلاة عن طوع فينال السعادة استلذاذاً للطاعة.

وفي حديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلاّ حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).
فالسكينة: هي الحالة التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب، فينقطع عن نفسه حب الدنيا، ويستقر فيها حب الله تعالى.
فالصلاة قرة عيون المصلين وسرور أرواحهم ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، فمن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويود أن لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها، فهو يُسلي نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قريب، فهو دائماً باتصال بربه.
فالصلاة بهذا دليل الطاعة ودليل محبته تعالى.

رابعاً: الصلاة مكفرة للذنوب ومطهرة للنفس

قال الله تعالى: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات)[٤١]. وقال سبحانه: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم)[٤٢].

وفي حديث رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهن ما لم تغشَ كبيرة).

فتكفير الصغائر يقع في شيئين: الحسنات الماحية، والثاني إجتناب الكبائر، فثواب الحسنات على أساس الحسنة بعشر أمثالها، وأن الصلاة أول هذه الحسنات، وأن من حكمة الله تعالى أن جعلها تتكرر خمس مرات في النهار والليل، لأن الإنسان لا بد له من الاشتغال بأمور الدنيا واحتمال

---

(٤١) هود / ١١٤

(٤٢) النجم / ٣٢

ما يتلوث به في أثناء ذلك الاشتغال، فأمره الله تعالى لتكرير الصلاة لتكون بمنزلة الدواء الذي يتكرر أخذه عند الشعور بالمرض.

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا). فماء النهر يغسل الجسم من الأدران والصلاة تطهر النفس والقلوب وتمحو الخطايا وتطهر الروح، فتجعل الإنسان يسمو بنفسه وروحه يعمل الصالحات ويسارع في عمل الخير.

خامساً: الصلاة تحسن الخُلق وتنهى عن الفحشاء والمنكر:

قال الله تعالى: (اتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)[٤٣]. فهي إذا ما أديت بحضور قلب، وبأن يعي صاحبها ما يقول وما يناجي ربه بها، تصبح وسيلة قوية لاتصال النفس بخالقها وتكون خاضعة له، فتكف هذه النفس عن الذنوب والآثام لأنها دائماً تذكر الله وتراقبه، فابتعادها عن الذنوب نتيجة لخشيتها من الخالق العظيم ورغبة منها في مرضاته تعالى؛ بالإضافة إلى أن الصلاة تؤثر في النفس فتجعلها بحالة من الصلاح والكمال والخلق الحسن، فهي بذلك تهذب النفس وتطهرها، فمما لا شك فيه أنها إذا أُقيمت على هذه الصورة. فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر لأنها تجعل من المصلي رجلاً تقياً نقياً صالحاً متصلاً بربه ومراقباً له يناجيه، ولأن مناجاة الله تعالى بآي الذكر الحكيم وبحمده وتمجيده وتسبيحه تعطي للروح الغذاء الصالح الذي يحفظها من شوائب الأدران والأمراض النفسية، وتنمي في النفس الإيمان، وتنير

---

(٤٣) العنكبوت / ٤٥

البصيرة بحيث تكون نفاذة في الحق، فتتنزه عن أن تأتي الفواحش والمنكرات، وبهذا نحصل على جماعة غاية في الكمال والأدب ومتحلين بمكارم الأخلاق. فهذه هي الصلاة المقامة والتي تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولا يمكن أن يفكر شخص بأنه يستطيع أن يجعل من الإنسان شخصية بهذه الروح وبهذه الدرجة من سمو الأخلاق وحسن الخُلق وطهارة النفس بدون إقامته للصلاة، بل حتى المصلي الذي لا يقيمها على الوجه الأكمل ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ويسهو عن صلاته، ولا يؤدي سوى حركات لا معنى لها بحيث يكون عقله وفكره في غير الصلاة. فهذا ليس له حظ منها، وصلاته هذه لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً).

روى ابن جرير الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى). فالصلاة التي يقبلها الله تعالى هي الصلاة التي أمر بها سبحانه وتعالى، فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عيله وسلم قال: (قال الله عز وجل: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي، ولم يبتْ مُصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي، واستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة).

إن صفته التواضع والابتعاد عن الكبرياء والتعالي على خلق الله، وتجنب المعاصي، بالإضافة إلى إدامته ذكر ربه بحيث لن يغفل عن ذكره

تعالى لحظة واحدة، وأن يرحم عباد الله الذين يتعامل معهم ويحسن إليهم، فهذا العبد الذي هذه صفاته هو الإنسان الكامل الصالح الذي يرضي الله عنه ويحفظه وينير له الطريق ويجعل الجنة مثواه.

قال الله تعالى: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) سورة القصص /٨٣.

فالتواضع من صفات المؤمنين، وأما الكِبر فهو من صفات العصاة الجبارين، لأن الكِبر بطر الحق وغمط الناس واحتقارهم.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: العِزُ إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني في واحد منها فقد عذبته) فالمتكبر والمتجبر ينال العذاب والأذى من الله تعالى، ولا ينفي عن الإنسان هذه الخصال السيئة والمذمومه اذا لحقته إلا الصلاة واستمرار اتصاله بالله.

سادساً: الصلاة تجلب الرحمة وتجعل المصلي في جوار ربه:

قال الله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)[٤٤]. فتدل الآية الكريمة إن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لرحمة الله تعالى، لأن (لعل) هي للترجي، فالذي يقوم بهذه الأعمال رجاء أن يرحمه الله تعالى، يوفقه الله سبحانه إلى نيل هذه المنزلة، فإنه سبحانه ما أطمع عباده بهذه الرحمة عند عملهم بموجبها إلا ليرحمهم كما هو معلوم من فضله وكرمه.

وهذه الأعمال قد جاءت موضحة في آية أخرى، قال جل شأنه: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك

---

(٤٤) النور /٤٤

سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[٤٥].

فهذا حال يوضح عن التعاون والتناصر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإضافة إلى أن صفاتهم الحميدة هذه تدل على طاعة الله ورسوله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقيامهم بالواجبات التي فرضها الله ورسوله، فهؤلاء سيرحمهم الله تعالى، ففي الآية دليل على وعد الله تعالى بأنه سيشمل برحمته كل من يدخل في زمرة المؤمنين والمؤمنات، فإن عملهم هذا هو تعبدٌ لله وطاعة لأوامره، فلا بد أن يرضى الله عنه ويشمله بحفظه ورعايته ويكون في ذمته.

وقد وردت الأحاديث عن صلاة الصبح، فقد روى مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم) فالذي يصلي صلاة الصبح يكون في أمان الله وضمانه وذكر الطبراني في الكبير والأوسط، وفي أول الحديث قصة، وهو أن الحجاج أمر سالماً بن عبد الله بقتل رجل، فقال له سالم: أصليت الصبح؟ فقال الرجل نعم، فقال له انطلق، فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟ فقال سالم حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلى الصبح كان في جوارربه يومه) فكرهتُ أن أقتل رجلاً أجاره الله. فقال الحجاج لأبن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن عمر: نعم.

وروى الحديث ابن ماجه والطبراني عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار لوجهه) ويفيد الحديث أن الصلاة تكون في جماعة.

---

(٤٥) التوبة /٧١

سابعاً: الاستعانة بالصلاة:

إن الصلاة هي من أكبر أسباب العون على الثبات بالأمر، لكونها أقرب شيء إلى أرجاع النفس البشرية إلى خالقها سبحانه وتعالى، لما لحقيقتها من التأثير في الروح خاصة إذا أديت كاملة وعلى وجهها الصحيح.

فإن العبد اذا قام بين يدي الله يناجيه ويتلو كتابه، يهون عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله ورهبة منه تعالى، فيتباعد عن كل ما لا يرضى الله عنه، ولذا أمر الله تعالى بالاستعانة بها، قال سبحانه: (وأستعينوا بالصبر والصلاة)[٤٦]، فهذه الاستعانة هي لطرد الهواجس والابتعاد عن حطام الدنيا وزخرفها، ولتكون واسطة لاستنجاح ما يطلبه من ثواب من الله تعالى، مع ما يسأل من ربه من حاجات لتحقيقها.

قال خذيفة بن اليماني رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَه أمر صلي) وفي رواية أخرى (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) وزوى كذلك: أنه قال: (رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي). فالاستعانة بالصلاة أمر طبيعي لأنها تعين على استدرار رحمه الله تعالى.

كما أن الصبر يعين على الثبات، وإن الاستعانة به أمر واضح ومفهوم للجميع. ولكن الله سبحانه أمر نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام أن يستعين على الصبر بالصلاة، قال تعالى: (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك)[٤٧] فأمره بالصبر على الأذى الذي يناله من المكذبين ومن منكري البعث والنشور، وأن يستعين على هذا الصبر بالصلاة، وذلك لأن تذكر الله

---

(٤٦) البقرة /٤٥

(٤٧) سورة ق /٣٩

على الدوام يربي في النفس العزم والثبات، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابته خصاصة أو إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق، نادي أهله: (يا أهلاه، صلوا صلوا).

أخي المؤمن: قلها لأهلك قل لهم في هكذا موقف: (يا أهلاه، صلوا صلوا)! إن المؤمن يعلم أنه اذا حُرم زهرة الحياة فهذا ليس بشيء عند الله تعالى، وإنه سيناله في الآخرة الجزاء الأوفى، ولذا فقد فُرض عليه العمل بما سيجعله ينال هذا الجزاء، فتكون الآخرة نيته ومبتغاه، فيسعى لها سعيها.

فقد روى ابن ماجه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليهُ وسلم يقول: (من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره وجعل فقرهُ بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة). فإن الله سبحانه وتعالى كلفنا بعبادته،وإخلاص النية بهذه العبادة، لأن حسن العاقبة للمتقين: قال تعالى: (لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)(٤٨).

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من كانت له إلى الله حاجة، أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ ويحسن الوضوء وليصلِّ ركعتين ثم يثني على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل: لا إله إلا الله الحكيم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك بموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، الغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم، وأن لا تدع لي ذنباً إلا غفرته يا أرحم

---

(٤٨) طه /١٣٢

الراحمين، ولا هماً الا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين).

وبهذا فإن الصلاة تنقذ الإنسان من أهوال يوم القيامة وتنقذه من مصائب الدنيا، وتجعله مطمئن القلب هادىء النفس.

ثامناً: الصلاة ترفع منزلة صاحبها في الدنيا والآخرة:

روى الحافظ بن حجر في المنبهات عن عثمان رضي الله عنه قال: (من حفظ الصلوات الخمس لوقتها وداوم عليها أكرمه الله بتسع كرامات، أولها: أن يحميه الله، ويكون بدنه صحيحاً، وتحرسه الملائكة، وتنزل البركة في داره، ويظهر على وجهه سيماء الصالحين، ويلين الله قلبه، ويمر على الصراط كالبرق اللامع، وينجيه الله من النوائب وينزلة في جوار الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وروى أبن ماجة في باب- تعبير الرؤيا- أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: إن رجلين من بلى (حي من قضاعة) قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إسلامهما جميعاً، فكان أحدهما أشد اجتهداً من الأخر، فغزا المجتهد منهما فأستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام أنا عند باب الجنة إذا أنا بها، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما ثم خرج فأذن للذي استشهد ثم رجع فقال ارجع فأنه لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثوه بالحديث، فقال: من أي تعجبون؟ فقالوا: يا رسول الله هذا كان أشد الرجلين إجتهاداً ثم أستشهد ودخل هذا الجنة قبله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أليس قد مكث هذا بعده سنة). قالوا بلى، قال (وأدرك رمضان فصام الآخر وصلى كذا وكذا من سجده في السنة) قالوا بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض).

وبهذا يتضح ما للصلاة من الأهمية والتأثير، واكتساب الدرجة العالية عند الله تعالى.

وأخرج أبو داؤد عن أبي سليمان أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حدثه قال: لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي. فجعل الناس يتبايعون غنائمهم، فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت ربحاً ما ربح اليوم مثله أحد من أهل الوادي، قال ويحك وما ربحت؟ قال: ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا أونبئك بخير رجل ربح، قال ما هو يا رسول الله؟، قال: ركعتين بعد الصلاة). فالربح في الدنيا فانٍ مهما عظم بينما الربح المقابل للصلاة خالد باقٍ، فهذه هي الغنيمة.

تاسعاً: الصلاة تجلب نصر الله وتوفيقه:

قال الله تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)[٤٩]. فهم على أكمل وجه من تقوى الله والقيام بواجباته التي فرضها عليهم مع إقامة العدل ونشر لوائه ودعوى الناس إلى الرشاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن الله سبحانه وتعالى ينصرهم لنشرهم مكارم الأخلاق والخلق الحسن وجميع الفضائل بين الناس، وهذا سيؤدي إلى الوصول إلى الكمال الإنساني، والسير بالطريق الذي يوصلهم إلى سعـادة الدارين.

عاشراً: الفوائد الصحية:

وهذه الفوائد واضحة لكل أحد، فإن من يحافظ على الصلاة يأمن العديد من الأمراض. لأن في الصلاة حركة لأجزاء الجسم كلها، حتى إن الشرايين الصغيرة لا تتحرك بشيء مثل تحركها عند وضع العظمات السبع

---

(٤٩) الحج /٤١

على الأرض في السجود كما أن الصلاة أمان من الأمراض التي تنشأ من قلة الحركة، وأن المشي إلى المساجد هو الآخر رياضة للبدن.

كما أن الطهور للصلاة يجعل الإنسان نظيفاً طاهراً بعيداً عن الأدران والأوساخ. وكل إنسان عندما يتفكر في فوائد الصلاة وحكمها تظهر له فوائد أخرى عديدة كلها لصالح الإنسان وسعادته. وهكذا يظهر لنا أن كل ما في الصلاة هو لخيرنا وفائدتنا وصلاح أمورنا في الدنيا والآخرة.

فسبحانك ربي، لا إله إلا أنت، يا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين نحمدك ونشكرك حتى ترضى.

٩- صلاة الجماعة:

إن اجتماع أهل الحي في اليوم خمس مرات، وفي صلاة الجمعة في المسجد، مما يقوي الروابط الاجتماعية، ويشد أواصر الصِلات بينهم، بحيث يشعر كل واحد منهم بأنه أخ لكل فرد في المسجد، وأنه مساوٍ له، فتنمو روح المساواة، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين أبيض وأسود، كلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال المحبة والأخوة في الله.

فهذه المساواة الحقيقية هي التي تنفي فوارق اللون والثراء والدم، وتشدُّ الفرد إلى الجماعة حيث يشعر الفرد عندها أنه للجماعة، وكل العبادات التي أمر الله بها، لو يفتكر بها الإنسان لظهر له كل يوم أنواع الحكم من فرضها، والتي هي جميعها لفائدته.

فإن الله سبحانه قد أمر بصلاة الجماعة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)(٥٠). وجاء في تفسير هذه الآية في (رسالة كيفية صلاة الجماعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز) وهذه الآية الكريمة نص في وجوب

---

(٥٠) البقرة /٤٣

الصلاة في جماعة، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه: (وأركعوا مع الراكعين) لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية.

والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة في هذا الباب، فهي من سنن الهدى، فقد روى مسلم وأبو داؤد والنسائي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وأنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجدٍ من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف).
وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً أن يصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم).

وروى الإمام أحمد وأبو داؤد وابن ماجة وابن خزيمة والحاكم عن عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أنا ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: (أتسمع النداء)؟ قلت: نعم، قال[٥١]: (ما أجدُ لَكَ رخصة). وهذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، حيث لا يوجد رخصة لمثل حال ابن ام مكتوم. وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: كانت ديارنا نائية عن

---

(٥١) الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري.

المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إن لكم بكل خطوة درجة، وفي رواية: يا بني سَلِمَه، دياركم تكتب آثاركم) فقالوا: ما كان يسُرنا أنا كنا تحولنا).

وروى أبو داؤود والترمذي عن بُريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وبشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة.

وروى أبوا داؤد عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها). وفي رواية: (لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن). هذه هي الصلاة المكتوبة، أما صلاة التطوع فالأفضل تأديتها في البيوت، لحديث رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة). هذا في الوجوب، وأما صلاة الجماعة في الأجر والثواب، فالفرق كبير بينها وبين صلاة الفذ بمفرده، فقد روى البخاري ومسلم وأبو داؤد والترمزي وأبن ماجة والإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعتْ له درجة، وحُط عنه بها خطيئة، فإذا صلي لم تزل الملائكة تصليَ عليه ما دام في مصلاه: (اللهم صلي عليه، اللهم أرحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة). يستفاد من هذا الحديث الشريف أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة، وهذه المضاعفة في الأجر هي لمن أراد الصلاة وتوضأ فأحسن الوضوء ثم خرج من بيته بنية خالصة لأداء الصلاة. فإنه لم يخطُ خطوةً إلا رفعت له بها درجة وحُط عنه بها خطيئة، فإذا صلَى في

المسجد مع الجماعة، لم تنزل الملائكة تصلي عليه وتدعو له بالرحمة ما دام في مصلاه، كما أن له من الأجر في انتظار، مقدار من هو في نفس الصلاة، لأنه لم يحبسه إلا انتظار الصلاة مع الجماعة، لأنه شارك في إظهار شعائر الله بين عباد والدعوة إلى الله سبحانه بالقول والعمل، كما أن كثرة المصلين في المساجد مما يشجع المتخلف ويُذكر الناسي ويُعلم الجاهل، وفيه صلاح الدنيا والدين، وأنه أرجأ لقبول الصلاة.

فنحن نرى كل هذا الأجر وهذه الدرجات التي ينالها المصلي في المسجد مع الجماعة بالإضافة إلى أن جميع المصلين سيصيبهم هذا الأجر، ونستدل على ذلك من الحديث الذي رواه أئمة الحديث ومنهم مسلم واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجد مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل- وهو أعلم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لكَ في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك، ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا لا أيْ ربِّ. قال: فكيف لو رأوا جنتي. قالوا: ويستجيرونك، قال، وممَّ يستجيروني؟ قالوا: من نارك يارب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: وكيف لو رأوا ناري، قالوا: ويستغفرونك. فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال يقولون: ربِّ فيهم فُلانٌ عبدٌ خطّاء إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرتُ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم). فهذا العبد الخطاء الذي مرَّ مروراً وجلس في مجلس الذكر قد شملته رحمة الله عز وجل وغفر له، فكيف الذي يحضر إلى المسجد بنية تأدية الصلاة مع جماعة المسلمين ويتوجه معهم إلى القبلة ويقف بين يدي الله

يؤدي الصلاة مع المصلين، فإن الله سبحانه وتعالى أرحم وأكرم من أن يحرمه عند قبول صلاة تلك الجماعة، بينما المصلي المفرد في بيته أو في محل عمله، لا ينال إلا درجة واحدة من الحسنات، وهذه أيضاً لا يحصل عليها إلا بعد أن يكون قد أكمل صلاته وأقامها على الوجه الأكمل، مما يدل على أن حصوله على هذه الدرجة (الواحدة) أمر غير أكيد.

فبالله عليكم، كل هذه الفوائد والحسنات، هل يتهاون في تحصيلها عاقل؟ إلا أن يكون جاهلاً محروماً، وإلا فما فائدة طلب العلم إلا العمل به،

١٠ - صلاة الجمعة:

الجمعة حق واجب على كل مسلم، ولا تؤدي إلا في جماعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبوا داؤد والحاكم عن طارق بن شهاب رضي الله عنه: (الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: مملوك وامرأة وصبي ومريض).

وقد ورد الترهيب عن تركها في حديث رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لينتهين أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ الجمعات أو ليختمنَّ اللهُ على قلوبهم ثم ليكونُن من الغافلين). ويوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، وقد خص الله به المسلمين وصرف عنه مَنْ قبلهم من الأمم، كرماً منه وفضلاً على هذه الأمة.

روى الحاكم وابن حبان عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فان صلاتكم معروضة علي) صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذا نؤدي للصلاة من يوم الجمعة

فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[٥٢] في الآية الكريمة أمران من الله تعالى: اسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع. فأصبح حضور الصلاة واجباً، كما أن البيع والشراء محرمان ومنهي عنهما من وقت النداء للصلاة إلى انتهائها. ومما يتأكد استحباب فعله يوم الجمعة:

أولاً: كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم (نهاره وليلته).

ثانياً: الأمر بالاغتسال في يوم الجمعة، ووقت الاغتسال ما بين الفجر إلى صلاة الجمعة، وأن الاغتسال مطلوب على الذي يحضر الصلاة، روى أبو داوُد والترمزي عن سُمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونِعمتْ، ومن اغتسل فالغسل أفضل).

وعلى المصلي أن يلبس أحسن الثياب، وقد أمرنا الله تعالى بأخذ زينتنا عند كل مسجد.

روى الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من اغتسل يوم الجمعة، ومسّ من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ما بدا له، ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت حتى يصلي كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى).

ثالثاً: وجوب الصلاة أمر مؤكد ومفروض كما تؤيده الآية السابقة

رابعاً: التطيب فيه أفضل، عدا النساء، فقد روى مسلم عن زينب الثقفية رضي الله عنها قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا شهدت أحداكن المسجد فلا تمس طيباً).

خامساً: التبكير للصلاة، بأن يخرج إلى المسجد مبكراً لأن ذلك من قرائن الاهتمام بالفريضة.

---

(٥٢) الجمعة /٩

سادساً: أن يشتغل بالصلاة والذكر حتى يخرج الإمام، يدخل المسجد كأنه ينوي الاعتكاف.

سابعاً: الأنصات للخطبة، فمن لغى فلا جمعة له، حتى أن الذي يقول لصاحبه (أنصت) فلا جمعة له.

ثامناً: قراءة سورة الكهف في يومها- لورود الآثار بذلك.

تاسعاً: إنه عيد المسلمين متكرر كل أسبوع، فيتأكد فيه استحباب التزاور وطلاقة الوجه كما في الأعياد.

عاشراً: لا ينبغي السفر في يومه لمن تلزمه الجمعة إلا بعد الصلاة.

حادي عشر: فيه ساعة لا يسأل الله عبدٌ فيها شيئاً إلا أعطاه، ما لم يسأل حراماً، فقد روى الترمزي وابن ماجة عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجمعة ساعة لا يسأل اللهَ العبدُ فيها شيئاً إلا آتاه الله).

وهذه الساعة بقيتْ مبهمة، حتى يحرص المسلم على الدعاء والاتصال بالله سبحانه وتعالى طوال اليوم، وللعلماء فيها أقوال كثيرة:

منهم من قال: إن الساعة التي ترجى هي الساعة التي أختار الله فيها الصلاة.

ومنهم من قال: إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة.

ومنهم من قال: إنها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس.

ومنهم من قال: هي إذا قعد الإمام على المنبرِ إلى أن تقضى الصلاة وبهذا ورد الحديث الشريف في صحيح مسلم.

فهذه ساعة يوم الجمعة والصلاة الوسطى وليلة القدر والتي فيها الرجاء للاجابة، وكذلك الكبائر من المعاصي فهذه أيضاً مبهمة، ذلك ليكون الناس على خوف من الوعيد للاتقاء والابتعاد عن كل معصية، وليكونوا

على مقدار من الرجاء في الأعمال الصالحة بغية ابتغائها والتقرب فيها دوماً.

١١ - المساجد وأهميتها:

لاحظنا في صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وجوب تأدية الصلاة في المسجد الجامع الذي يجمع أبناء الحي أو المنطقة في محل واحد حيث يتلاقى المسلمون يومياً وعلى مرات متعددة، في بيت من بيوت الله، يرى أحدهم أخاه ورفيقه في العمل أو الحي، يسأل حاضرهم عن غائبهم ويتفقده، يتراصون للصلاة، فيقفون بين يدي الله في الصف وهم سواسية كأسنان المشط، وقوفهم هذا في صف واحد متحدين في العبادة ومتجهين إلى قبلة واحدة وقد تعلقت قلوبهم بربهم الواحد الأحد عز وجل، كل هذا يجعل قلوبهم تتحد وأرواحهم تجتمع في حكم الله وشرعه، الأمر الذي يجعل نظام الإسلام وآدابه أكثر صلاحاً لنشر المحبة والأخوة بين أفراده وجماعاته، وبرسخ الوحدة بينهم.

كل هذه الفوائد حصلنا عليها عند الاجتماع للصلاة في المسجد الجامع، يحدثنا التاريخ أنه عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة، أقام في قباء في بني همر وبن عوف الأثنين... وفي يوم الخميس أسس مسجدهم، وعند وصوله المدينة المنورة أستقبله أهلها وكل يريد أن ينزله عنده ويمسك زمام الناقة، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم: (دعوها فإنها مأمورة). فبركتْ في موضع كان مربداً[٥٣] لغلامين يتيمين من بني النجار، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُبنى ذلك الموضع مسجداً وقال: (هنها المنزل إن شاء الله). وجاء في رواية ابن عينية أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم عم الغلامين الذي كانا في حجرة وكفالته

---

(٥٣) المربد- أرض يجفف فيها التمر

وإبتاع المربد منهما بواسطته(٥٤).

إن أول عمل قام به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بناء المسجد، الأمر الذي يدل على أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي وإن هذا المجتمع يكتب له صفة الرسوخ والتماسك عند الإلتزام بنظام الإسلام وعقيدته وآدابه. هذا هو المسجد الذي أذن الله فيه بالعبادة وتعظيم ذاته جل وعلا، قال سبحانه: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)(٥٥)، وذلك بعبادته تعالى وإقامة الصلاة فيها (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)(٥٥)، ذكر هنا الباعث الترهيبي لهذه الطاعة، وذكر سبحانه بعدها الباعث الترغيبي على شكل وعد منه سبحانه وتعالى، ومن أوفى بعهده من الله، فقال (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)(٥٥) ورُوي عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَلِفَ المسجد ألفه الله).

فهذه البيوت هي بيوت المتقين، ففي حديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (المسجد بيت كل تقي). فالمتقي عند دخوله المسجد ترتاح نفسه وينشرح صدره ويرى نفسه في بيته، لا يشغله عن ذكر الله وعن الصلاة شاغل. فهذا المحل أحب البلاد إلى الله، ففي حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

---

(٥٤) فتح الباري شرح البخاري ١٧٥/٨

(٥٥) النور /٣٦، ٣٧، ٣٨ .

فهذا المسجد، وهذه أهميته، فهل يجوز أن تحرم بعض المحلات والمناطق منه، بل أن الواجب تهيئة المساجد في كل بقعة يتجمع فيها المسلمون، في مناطق عملهم من معامل ومعاهد ومدارس ودوائر، وفي مناطق راحتهم وفي الساحات ومحلات الاجتماع والنوادي، وفي المطارات ومحطات القطار وفي مناطق السكن من قرى وأرياف وأحياء سكنية.

أن المسؤولية تقع على كل شخص عليه مسؤولية امرة أو إدارة جهة أو مؤسسة وعلى كل شخص ميسور الحال ويتمكن من بناء المسجد أو المساهمة فيه وإلى أن يتم بناء المسجد في هذه الأماكن أقترح على المسؤولين فيها أن يخصصوا محلاً مناسباً أو غرفة واسعة يكتب عليها كلمة (المُصلى) ليصلي المسلمون فيها لحين يتيسر المسجد، مع علمي بوجود مثل هذا المحل في عدد لا بأس به من هذه المؤسسات.

قال الله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر[٥٦]، وإن بناء المسجد هو من عمارته.

فقد روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن عمّار بيوت الله هم أهل الله عز وجل)

وفي حديث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة) متفق عليه وهذا الحديث فيه أشاره إلى أنه يجوز أن يكون هذا البناء بالمشاركة مع جماعة من المسلمين، فإن الجميع يحصلون على الأجر والثواب ببناء بيت الله إن شاء الله.

---

(٥٦) التوبة/١٨

إنها بشرى للمؤمنين، فليسعوا لعمارة المساجد، اللهم أجعلنا منهم يا أكرم الأكرمين.

١٣ - التطوع:

وهي الصلاة غير الواجبة، وهي النوافل، وقد شرعت لتكون جبراً لما عسى أن يكون قد وقع في الفرائض من نقص غير متعمد، فيحتمل أن يؤدي المصلي بعض الصلوات المفروضة ولا يحسنها، أو أنه يعمل أعمالاً مخلة في الصلاة فتجعل صلاته غير مقبولة وهو لا يشعر بذلك فيجري إكمال الصلاة المفروضة من صلاة التطوع، وهكذا بقية العبادات، يجبر فرضها بنفلها.

روى أبو داؤد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا عز وجل لملائكته- وهو أعلم- انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها. فإن كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم الزكاة مثل ذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك). ورواه الترمذي ولفظه: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً، قال الرب عز وجل أتموا فريضته من تطوعه).

فإن أول ما يحاسب به حق الله وهو (الصلاة)، فإن صلحت صلح باقي عمله وأفلح وأنجح وإن بقية العبادات من صيام وزكاة إن انتقص منها شيء فيكمل الفرض بالتطوع من نوعه، بالإضافة إلى أن الزيادة من عبادات التطوع من صلاة وصيام وزكاة فيها زيادة في الثواب والتقرب إلى

الله تعالى، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. (قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيه ولئن استعاذني لأعيذنه).

إن محبة الله تعالى لعبده هي رضاه عنه، وهدايته له في جميع أعماله وأقواله، وإن إنعامه عليه بأن يضع محبة الناس له في الدنيا وبأن يرفع درجته في الآخرة. أما تفاصيل النوافل والروائب المؤكدة لكل صلاة فراجع بها كتب الفقه.

١٤ - الأفعال المخلة بالصلاة:

الصلاة عماد الإسلام، ونور للمصلين في الظُلم، وأمان لهم في الحياة الدنيا والآخرة إذا أقاموها بالصورة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام، وإذا أخلّ المصلي بصلاته ولم يؤدها بصورتها المفروضة طويت ولم تتجاوزه.

فقد روى الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا غرار في صلاة ولا تسليم). جاء في اللسان: الغرار في الصلاة: النقصان في طهورها وركوعها وسجودها، ويكون معنى الحديث: لا غرار في الصلاة: أي لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا من أركانها، وقال سلمان رضي الله عنه: (الصلاة مكيال فمن وفى، وُفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين).

ومعنى (ولا تسليم) أي إن المصلي لا يسلم ولا يسلم عليه. إن كل عمل ليس من الصلاة متى قام به المصلي أبطل صلاته، ونذكر هنا بعضاً من

الأحاديث النبوية الصحيحة التي تتعلق بالموضوع:

آ- روى أبو داؤد والنسائي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها).

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى الصلاة لوقتها وأسبغ لها وضوءها، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني، ومن صلاها لغير وقتها، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه).

ب- وفي حديث رواه مسلم وأبو داؤد والنسائي عن معاوية بن الحكم السلميّ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...) فالكلام في الصلاة يبطلها.

ج- وروى الترمزي والنسائي وابن ماجة عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه) فإن مسح الحصى وغيره من الأتربة في موضع السجود مما يخل في الصلاة.

د- وروى الطبراني عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أسرق الناس الذي يسرق صلاته) قيل يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: (لا يتم ركوعها ولا سجودها، وأبخل الناس من بخل بالسلام) فإتمام الركوع والسجود من شروط قبول الصلاة.

هـ- وروى البخاري وأبو داؤد والنسائي وابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهين عن ذلك أو لتخطفنَ أبصارهم). فرفع البصر إلى السماء في الصلاة منهيٌ عنه.

و- وروى الحاكم في المستدرك، وعبد الله بن المبارك عن الزهري قال: سمعت أبا الأحوص يحدثنا في مجلس سعيد بن المسيب، وابن المسيب جالس: أنه سمع أبا ذر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فإذا صرف وجهه انصرف عنه) فالالتفات في الصلاة يخل بها. وفي حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال:(هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)

ز- أما القهقهة فبإجماع العلماء: تبطل الصلاة، وكذلك التبسم ينقص ثوابها، لقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) وإن القنوت هو: الخشوع، فمن ضحك في صلاته فلم يخشع، ومن لم يخشع لم يصل كما أُمر.

ح- وقد روي أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان لا يتحرك في صلاته إلا أن يصلح ثوباً أو يحك جلداً.

ط- وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم وأن لا أكفت شعراً ولا ثوباً) أي لا يحل للمصلي أن يضم ثيابه ولا يجمع شعره في أثناء الصلاة. وأن السبعة أعظم التي يسجد عليها هي الجبهة وتشمل الأنف واليدان والركبتان وأصابع الرجلين).

ي- وروى البخاري ومسلم وأبو داؤد والترمزي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه

رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار) فالواجب عدم مسابقة الإمام في الصلاة.

ك:- وروى البخاري ومسلم وأبو داؤد والترمزي والنسائي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أكل بصلاً أو ثوماً فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا، وليقعد في بيته) لأن الرائحة الكريهة مضرة.

ل- وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:(رأى النبي صلى الله عليه وسلم نخامة في قبلة المسجد وهو يصلي بين يدي الناس، فحتها، ثم قال حين انصرف، إن أحدكم إذا كان في الصلاة). (فان الله تعالى قَبِل وجهه: فلا يتنخمن أحدكم قِبَل وجهه في الصلاة).

م- أخرج الحكيم الترمزي عن أم رومان والدة السيدة عائشة رضي الله عنها قالت رآني أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أتميل في صلاتي فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي. قال: سمعت رسول الله يقول: (إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود، فإن سكون الأطراف في الصلاة من تمام الصلاة).

إن كل تلك الأعمال المذكورة تخل بالصلاة أو تبطلها أو تنقص أجرها، عند عملها عمداً، أما السهو والنسيان فلا ينقص من الصلاة شيئاً، وعلى المصلي أن يسجد سجود السهو وكما مثبت في كتب الفقه، وذلك لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه).

ن- هذا وإن قتل الفواسق الخمس مباح في الصلاة، فقد جاء في سنن الدارمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق (في) الحل والحرم: الحدأة والغراب والفأرة والعقرب والكلب العقور) وفي رواية: الأسود بدل الكلب العقور.

١٥ - ترك الصلاة

الصلاة نور وهدى في الحياة الدنيا ونجاة في الآخرة، إنها تطهر نفس المصلي وتجعله دائم الاتصال بربه، فتؤثر في روحه وتجعله راضياً قنوعاً بما قسمه الله له، ويهون عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله تعالى، وتبعده عن كل ما لا يرضي الله عنه. كما أنها تبقي في النفس آثاراً محمودة، لأن المصلي دائم التلاوة للقرآن العظيم فتؤثر فيه آيات الله لما فيها من المعارف العالية والحكم البالغة والهداية القويمة. وقد رأينا في البحث عظيم فوائدها وتأثيرها في المصلي بالإضافة إلى أن المصلي يؤدي حق الله عليه، فترتاح نفسه عند إيفاء الحق الذي عليه.

فكيف بنا إذا رأينا البعض يترك الصلاة، إنه أولاً يفقد الفوائد العظيمة التي تؤثر في نفسه وتمنعه من الانقياد إلى شهواته وهوى نفسه. ويخسر أجر وثواب الصلاة في الدنيا والآخرة. كما وإنه يعصي الله تعالى لأنه لم يؤدِ حقه، فيكون بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، فتكون أعماله صادرة من نفس ضالة وقلب عاص. فيسوء حاله ويكون أسير شهواته ورغباته، فمن يعيده إلى رشده. وتارك الصلاة: إما أن يكون تركه كفراً بها وجحوداً بوجوبها، فهذا العمل يخرج هذا الإنسان من ملة الإسلام بدليل الحديث الشريف الذي رواه أبو يعلى باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتومة وصوم رمضان) فالذي يخرج من الدين الإسلامي فهو خاسر في الآخرة، قال سبحانه وتعالى: (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٥٧].

---

(٥٧) آل عمران /٨٥

فهذا النوع من الناس لا نبحث عنه لوضوح مصيره ونتيجته، أعاذنا الله جميعاً من هذا المصير.

وأما الذي يترك الصلاة تهاوناً وكسلاً ومعصية مع إيمانه بوجوبها وصحة فرضها عليه، فعلى أمثال هؤلاء نوجه الضوء، وبأن نتدارس معاً ما ورد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأثر الصالح عن آل البث الطاهرين والصحابة الكرام، لعل المتهاونين يثوبون إلى رشدهم ويتوبون من معصيتهم لينالوا رضا الله ورحمته وغفرانه إن شاء الله.

١٦ - ترك الصلاة من الكبائر:

الكبيرة: هي كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، وهي ما نهى الله ورسوله عنها في الكتاب والسنة، وإن الكبائر في الذنوب بعضها أكبر من بعض، قال سبحانه وتعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً)[٥٨]. وقال تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم. إن ربك واسع المغفرة)[٥٩]. فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة، ويشمله برحمته الواسعة.

وقد عدَّ أكثر العلماء الكبائر فبلغت سبعين، وبعضهن قد عدَّ أكثر من السبعين، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع إصرار، وعلى المرء أن لا ينظر إلى المعصية، ولكن لينظر إلى من يعصي.

فأكبر الكبائر الشرك بالله، ثم قتل النفس المؤمنة بدون حق، وثم ترك الصلاة، وبعدها تأتي بقية المعاصي والذنوب.[٦٠]

---

(٥٨) النساء /٣١

(٥٩) النجم /٣٢

(٦٠) راجع كتاب الكبائر للإمام شمس الدين الذهبي

أولاً: كبيرة الشرك بالله:

قال سبحانه وتعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٦١].

ذلك لأن الشرك هو عين الضلالة، وأنه يؤدي إلى فساد الأرواح، فكل عمل يأتي به المشرك يكون على أساس من الضلال والفساد، فتبقى هذه الأعمال سقيمة لا خير فيها ولا صلاح، فإن الشرك من أعظم البهتان والافتراء، يجعل لله نداً وهو خلقه وخلق السماوات والأرض وما فيهن. فكيف يضع أحداً من مخلوقاته نداً له سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فالمشرك بالله قد أفسد قلبه ومعتقده، فتكون أعماله كلها فاسدة لأنها صادرة عن معتقد فاسد، بينما المؤمن الراسخ الإيمان ففيه القوة الكامنة التي تمنع صاحبها من التردي في سوء الأعمال، فإذا زل زلة ندم حالاً وأنب نفسه، وثاب إلى رشده، فإن الله سبحانه يغفر الذنوب التي يتوب صاحبها عنها وأن يتبعها بالحسنات التي تزيل آثارها من نفسه.

بينما الذي لا يتوب عن الذنب، ولا يعمل بالحسنات التي أمر الله بها، بل يبقى مصراً على المعصية، فلذا تبقى آثارها في نفسه، فكيف يغفر له، ومن أعظم المعاصي الشرك بالله، ولذا قال سبحانه: (ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً)[٦٢] لأنه افتراء عظيم واجتراء كبير على الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه في آية أخرى: (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً)[٦٣]

فأي ضلال أبعد من ضلال من يشرك بالله الخالق البارىء المنعم

---

(٦١) النساء / ٤٨

(٦٢) النساء / ٤٨

(٦٣) النساء / ١١٦

سبحانه، فهذا الضلال هو الذي يجعل أعمالهم ضالة سقيمة، فجزاؤهم العادل النار مثوى لهم قال سبحانه: (وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنّة ومأواهم النار وما للظالمين من أنصار)[٦٤]

ثانياً: كبيرة قتل النفس المؤمنة بدون حق:

إن الله سبحانه وتعالى قد كرّم بني آدم وحماهم من كل أذى وحرّم قتلهم قال تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق)[٦٥]. بل إن كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البخاري والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً).

وروى البخاري عن إبن عمر رضيّ الله عنهما والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وأن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً). فإذا كان هذا الأمر في قتل المعاهد (وهو الذي أعطي عهداً من اليهود والنصارى في دار الإسلام) فكيف يقتل المسلم. قال سبحانه وتعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)[٦٦] وقال سبحانه بعد ذكر قصة! بني آدم: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً

---

(٦٤) المائدة / ٧٢

(٦٥) الإسراء / ٣٣

(٦٦) النساء / ٩٣

ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)[٦٧].

وروى الإمام أحمد وابن ماجة والأصبهاني كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أعان على قتل مسلم شطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) هذا المعين فكيف القاتل؟

اللهم مكّن الإيمان في قلوبنا، وأعنا على اجتناب المعاصي والآثام وما لا ترضاه، واجعلنا نعمل صالحاً ترضاه، وأدخلنا (برحمتك) في عبادك الصالحين

ثالثاً: كبيرة ترك الصلاة:

كيف لا تكون كبيرة وإن قسماً من العلماء الأعلام قد قالوا بكفر تارك الصلاة، وقد استدلوا بالحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر رضيّ الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة).

وروى الإمام أحمد وأبو داوُد والنسائي وابن ماجة والترمزي وابن جيان في صحيحة والحاكم عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

وروى الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا عملته دخلتُ الجنّة، قال: (لا تشرك بالله شيئاً وإن عُذبت وحُرّقت، أطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيءٍ هو لَكَ، لا تترك الصلاة متعمداً، فإن ترك الصلاة متعمداً فقد بَرِئت منه ذمة الله).

---

(٦٧) المائدة / ٣٢

وأخرج جميع أئمة الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وَتِر أهله وماله) وَتِر: أي نقص.

وأخرج الحكيم الترمذي عن عبد الله بن شفيق قال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة).

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضيّ الله عنه قال: بعث علي رضيّ الله عنه وهو باليمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذُهيبة فقسّمها بين أربعة، فقال رجلٌ: يا رسول الله: اتقِ الله، فقال: (ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله) ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟. فقال: (لا، لعله أن يكون يصلي) فقال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم). فالذي يظهر من هذه الأحاديث ما فيه الدلالة الكافية على أن ترك الصلاة عمداً وتهاوناً كفراً، ولو أقر تاركها بوجوبها، وخاصة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا، لعله أن يكون يصلي) أي لا تقتله لكونه من المصلين. ومن مفهوم المخالفة أنه إن لم يكن يصلي يُقتلْ.

وقد ذهب أكثر العلماء إلى عدم تكفير تارك الصلاة المقر بوجوبها للأدلة التالية منها: قول الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). ذلك لأن لله مشيئة بأن يغفر ما دون الشرك. وروى الإمام مالك في الموطأ وأبو داؤد في سننه وابن ماجة في سننه واللفظ له عن عبادة ابن الصامت رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خمس صلوات افترضهن الله على عباده فمن جاء بهن لم يضع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهدا أن يدخله الجنة، ومن لم يأتِ بهن

فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة).

وروى هذا الحديث الدرامي في سننه عن كعب لفظه: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تدرون ما يقول ربكم، قال قلنا الله ورسوله أعلم، قال: (إنه يقول من صلى الصلاة لوقتها فأقام حدها، كان له به عليّ عهداً أدخله الجنة، ومن لم يصلِ الصلاة لوقتها ولم يقم حدها، لم يكن له عندي عهداً إن شئت أدخلته النار وان شئت أدخلته الجنة)

وفي الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل). وروى أئمة الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومعاذ رديفه على الرحل: (يا معاذ)، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، ثم قال: (ما من عبد يشهد ألا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار)، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا، قال: (إذاً يتكلموا)، فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً، أي خوفاً من أن يقع في الإثم بترك هذا الخبر.

فهذا يدل على أن تارك عمداً تهاوناً وتكاسلاً غير كافر، بل أنه يعصي الله تعالى، لأن الصلاة هي حق الله، فعند عدم تأديتها فيكون في عنقه دين الله، فتبقى الصلاة في ذمته لحين قضائها.

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المخصصة لها، إذ لو كانت المصلحة في غيرها من الأوقات لما كان التخصيص بهذه الأوقات فائدة، وقد صح عن محمد بن سيرين أنه قال: (إن للصلاة وقتاً وحداً، وإن الذي يصلي قبل الوقت مثل الذي يصلي بعد الوقت). فإن الذي يؤخر الصلاة عن

وقتها أو يخل بها وبشروطها ويعطل المساجد يكون من الذين أضاعوا الصلاة.

قال عزَّ من قائل، بعد أن ذكر بعضاً من أخبار الأنبياء وعليهم السلام في سورة مريم: (فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً)(٦٨) فالخلْف: بالسكون: الولد الطالح، والخلف- بالفتح- الصالح.

قال الشاعر لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلْف كجلد الأجرب

ومعنى الآية الكريمة: إن هذا الخلف السيىء الذي خَلَف من بعد أولئك النبيين الكرام عليهم السلام، قد أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وقد ذكر بعض العلماء أن المراد بإضاعتهم الصلاة هو تأخيرها عن وقتها. وقال بعضهم: هو الإخلال بشروطها، وقيل إضاعتها في غير الجماعات وقيل إضاعتها تعطيل المساجد والاشتغال بالأعمال والأسباب الأخرى والسهو عنها، فإن كل هذه الأسباب يصح دخولها في معنى إضاعة الصلاة. لأن تأخير الصلاة في وقتها، وعدم إقامتها في الجماعة، كالإخلال بشروطها وتعطيل المساجد وجحدِ وجوبها والسهو عنها، كل ذلك إضاعة لها.

إنهم بعد إضاعتهم الصلاة، اتبعوا الشهوات، وعند اتباعهم للشهوات غفلوا عن ذكر الله وقست قلوبهم ووقعوا في المحذور، وبذا يكون اتباعهم الشهوات نتيجة لإضاعتهم الصلاة، فأصبحت كبيرة ترك الصلاة تفوق أية كبيرة من بقية المعاصي والآثام كالزنا وشرب المسكرات والقمار والسرقة وغيرها من المعاصي مع إدراكنا لما لهذه المعاصي والآثام من الخطر الفادح على الفرد والجماعة.

---

(٦٨) مريم / ٥٩، ٦٠

من هذا يتضح لنا سرُّ توعد الله سبحانه وتعالى الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.- بالغي- الذي هو الشر العظيم والعذاب الأليم، جزاء وفاقا.

إنهم بإضاعتهم الصلاة قد أعطوا المجال لأن يستحوذ عليهم الشيطان فأشغلهم بالشهوات، وأنساهم ذكر الله، وركنوا إلى أنفسهم، فاتبعوا هوى النفس، بأن أقبلوا على ملذات الدنيا واطمأنوا بها. والذي يضيع الصلاة يكون لغيرها أضيع كان فيما كتبه الخليفة أبو بكر الصديق رضيّ الله عنه إلى عماله: (واعلموا أن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن ضيعها فهو لغيرها أضيع).

ذلك لأن الصلاة نور واتصال بالله وخضوع له، فهي بهذا ترويض للنفس وإذلال لكبريائها، فتورث الخشوع، وتنفي الكبر عن المصلي فتجعل نفسه طيّعة منقادة لقبول الأوامر الإلهية والعمل بها.

وعند إضاعتها تجعل الإنسان ضالاً يسير في غير هدى الله، فيتبع هوى نفسه ويصبح أسير شهواته.

إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في مواضع آخرى من القرآن الكريم الذين يضيعون الصلاة ولا يحافظون عليها على صفة الذم، قال تعالى: (فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[٦٩]. ذكرهم (مصلين) ومن صفاتهم أنهم عن صلاتهم ساهون، فقد ذكر المفسرون بأن السهو: هو التضيع لها، وقال بعضهم السهو عن الصلاة هو عدم المواظبة عليها والتواني عنها.

فإن هذا الصنف من المصلين عند تأديتهم بعض الصلوات، فإن هذه الصلاة لم تؤثر في نفوسهم وتربيهم على العطف والإحسان والاهتمام بأمر الأيتام والمحتاجين (الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون)[٦٩]. يفعلون ما يرى

---

٦٩ / الماعون / ٤، ٥

الناس منهم فقط، في حين أنهم ساهون عن الصلاة غير مواظبين عليها. فإنهم بعيدون عن مساعدة المعوزين، ومساعدة الجيران، بالإضافة إلى تكذيبهم بيوم الدين، فصلاة هؤلاء لا تأثير لها في نفوسهم وأرواحهم فهؤلاء كالمنافقين الذين قال الله عنهم: (إن المنافقين يخادعون الله)[10] من إظهار الإيمان خدعة لأنهم يخفون نقضبه (وهو خادعهم) حيث سيعاقبهم على خلاف ما يحبون، ثم ذكر الله سبحانه شيئاً من خداعهم فقال: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس) يؤدونها متثاقلين كالمكره على الفعل ويظهرون ذلك للناس حتى يظنوا بهم الايمان (ولا يذكرون الله إلا قليلاً)[10] فإن الصلاة هي ذكر الله، فالمعنى لا يصلون إلا قليلاً (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)[10] فهم لا يخلصون في الانتساب إلى أحد الفريقين. فالذي هذه أخلاقه، يكون قد تشبع بالضلال حتى أصبح له ديناً وخلقاً، فكيف يعود ويرجع إلى الحق، ومن بعيده، إلى ذلك؟

وقد ذكر سبحانه وتعالى بعضاً من أوصاف هؤلاء في سورة التوبة، فقال: (وما منعتهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالى)[11] فإن هذه الأعمال الصالحة لم تصدر منهم عن صحة إيمان وعقيدة، ولكن عن خوف وتقية، ولو أنهم أقاموا الصلاة على الوجه الأكمل وخشعوا بها فإنها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، ولكن هيهات، فهذه حالهم في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد.

فقد أخرج الطبري وابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه كذلك ابن المبارك عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء والأرض ثم قرأ: (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا

---

(١٠) النساء / ١٤٢، ١٤٣

(١١) التوبة / ٥٤

مطرين)[٧٢] فإن غير المصلين لم تبكِ عليهم السماء والأرض، لأنه ليس لهم مصلى من الأرض ولا مصعد عمل صالح من السماء والأرض.

فإن كل نفس رهينة بما عملت، قال سبحانه: (كل نفس بما كسبت رهينة)[٧٣] فهي رهن عملها (إلا أصحاب اليمين) لأنهم قد فكوا رقابهم من هذا الرهن، بأنهم قد أدّوا حق الله وأحسنوا في أعمالهم فهم (في جنات يتساءلون عن المجرمين)[٧٣] قائلين لهم تنديماً وتقريعاً: (ما سلككم في سقر) وسقر من أسماء جهنم، فأجابوهم بجواب ملؤه الأسف والندم، ولات ساعة مندم: (قالوا لم نكُ من المصلين) ذكروا ترك الصلاة في رأس العبادات التي تركوها (ولم نكُ نطعم المسكين) بأن نتصدق على المحتاجين والمساكين وأن نحسن إلى خلق الله (وكنا نخوض مع الخائضين) في الباطل والضلال (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين)[٧٣]. والذين يكذبون بيوم الدين أسوأ الناس وأضلهم قال تعالى: (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى)[٧٤]. واليقين الذي جاءهم هو الموت، بحيث انكشف الأمر وعُرف الحق من الباطل يقيناً، فكل هذه الأعمال التي تركوها أو قاموا بها أو كفروا بها هي التي أودت بهم إلى الهاوية، فأول هذه الأوصاف هو ترك الصلاة.

فهذا الوصف لحالة تارك الصلاة أوضحه القرآن الكريم في سورة القيامة. فبعد أن ذكر حال المتقين وماهم فيه من النعيم المقيم، ذكر حال الكفار وما هم فيه من الشقاء، ثم ذكر شيئاً من هذه الأعمال التي استحقوا بها عذاب الآخرة قال تعالى: (فلا صدق) بالدين (ولا صلى ولكن كذب

---

(٧٢) الدخان / ٢٩

(٧٣) المدثّر / من ٣٨ إلى ٤٧

(٧٤) النحل / ٦٠

وتولى)[٧٥]، إنه لم يكن من المصلين، بل كذب وأعرض عما جاء به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

فحاله سيىء يوم القيامة وموضح في سورة القلم، قال تعالى: (يوم يكشف عن ساق)[٧٦] للدلالة على الأمر الشديد الهول، حيث تظهر الأعمال (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) أول ما يقال لهم بأن يسجدوا لله سبحانه وتعالى فلا يستطيعون (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون)[٧٦] بأن أصبحوا ذليلين في الدار الآخرة وذلك لتكبرهم في الدنيا، وقد ذكّرهم الله تعالى بأنهم كانوا في الدنيا سالمين، وقد دعاهم إلى السجود له سبحانه وتعالى في زمن صحتهم وسلامتهم فامتنعوا من ذلك، فهذه الآية الكريمة تذكير لتارك الصلاة لتدارك الأمر قبل فوات الوقت حيث لا ينفع الندم عند حلول ساعة الأجل، انظر يا أخي! هل يعلم أحدٌ منا ساعة موته ووقت أجله؟ كلا، إن علم ذلك عند الله تعالى، فعلى العاقل أن يكون حاضراً دائماً لهذا الوقت ومستعداً للامتحان والاختبار والحساب قبل أن يفجأه الموت ويخسر الآخرة، وذلك هو الخسران المبين. فكر يا أخي كثيراً بمصيرك ونهايتك وارجع إلى مولاك العظيم، إلى الخالق الكريم، إلى الغفور الرحيم الذي يتجاوز عن السيئات والهفوات، قال سبحانه: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)[٧٧]، يقول تعالى: وإني لغفار! كثير المغفرة، غفار لمن يتوب، نعم: التوبة والإيمان والعمل الصالح والهداية، بهن يا أخي تنال المغفرة من الباري عزّ وجلّ، قال سبحانه: (كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل

---

(٧٥) القيامة / ٣١، ٣٢

(٧٦) القلم / ٤٢، ٤٣

(٧٧) طه / ٨٢

منكم سوءاً) بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم)[٧٨]

الجهالة: هي السفه وقلة العقل، وقيل هي الجهل الذي يقابله العلم فالذي يندم ويرجع ويصلح عمله ويظهر ذلك على نفسه بأن يزكيها ويطهرها، فإن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم.

أما الذي يؤمن اضطراراً أو بعد مجيء العذاب أو مقدماته. أو أن تلك النفس لم تكسب في إيمانها خيراً، فإن ذلك الإيمان لا ينفع. قال تعالى: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)[٧٩]. فقد قالوا في الأمثال الشعبية: (جاءك ملك الموت يا تارك الصلاة).

. يقال لمن يقع في مأزق يستحقه ويرى نفسه في الفخ لا يستطيع التخلص منه. فهذا المثل أبلغ درس وموعظة لتارك الصلاة يذكره بهذا الموقف الذي سيراه حتماً (كل نفس ذائقة الموت) فيتدارك أمره ويثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه، وعلى المرء أن يرشد أهله ومن هم تحت مسؤوليته ويأمرهم بالصلاة، قال تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)[٨٠]. يأمرهم بالصلاة، وأن يصبر هو نفسه على فعلها.

صحيح أن الفريضة مفروضة على البالغين. إلا أنه يجب أن يؤمر الصغار بالصلاة للتدريب والمران، حتى تكون لهم عادة يسيرون عليها.

وفي حديث رواه أبو داؤد بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا

---

(٧٨) الإنعام / ٥٤

(٧٩) الإنعام / ١٥٨

(٨٠) طه / ١٣٢

أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) نعم وأضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين، فاذا كبر الولد وأصبح ابن اثنتي عشرة أو أكثر من ذلك، فلا يفيده الضرب ولا يرجعه عن غيه، بل يزداد تعتناً وشراسة، وإذا كبر أكثر من ذلك، فإنه (حتماً) سيعتدي على والده إن ضربه، فاتقوا الله عباد الله وأعملوا صالحاً وأحسنوا، إن رحمة الله قريب من المحسنين.

الخاتمة:

معاشر المسلمين: كثيراً ما نسمع من بعض الناس الذين يتساهلون في الصلاة، بل ويتركونها، نسمع منهم هذا القول! وأؤكد بأني سمعته من شخص كان يسير مع صديقيه في صحن المسجد الجامع، فأذن المؤذن للصلاة. فقال لصديقيه: (إنني لا أصلي. ولكن قلبي طاهر نظيف أبيض (وأني أحسن من كثير من المصلين الذين يأكلون الحرام! كذا) وهكذا. أمثال هذه الأقوال كثيراً ما يصدر من بعضِ الناس.

وهذا القول يتألف من شقين:

الأول: دعوى، لأنه قد زكى نفسه وأن قلبه أبيض طاهر نظيف، وإن الله سبحانه قد نهانا عن أن نزكي أنفسنا، ولكنا نقول له: إن تارك الصلاة يكون بعيداً عن الله عاصياً لأمره، متبعاً لهواه، فهل يرجى منه الخير، وكيف أصبح قلبه أبيض طاهراً؟ مع أن طهر القلب ينشأ من تقوى الله، وهل تارك الصلاة من المتقين؟.

أما الثاني: فهو قد أتهم هذا الشخص المصلي، فإذا كان هذا الاتهام صحيحاً، فمعنى هذا أن صلاته لم تنهه عن الفحشاء والمنكر، فلا بد أن يكون ذاك المصلي مخلاً بها ساهياً عنها، فالمطلوب أن يتخذ المصلي الأمثل قدوة له لا أن يتهجم على من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وكأن غرضه تشويه سمعة المؤمنين. (لا سمح الله).

ونختم بحثنا بهذه الآيات الكريمة عن أواخر سورة الأنعام: قال سبحانه: (مَنْ جاء بالحسنة فلهُ عشرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلمون. قُلْ إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قُلْ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للهِ رب العالمينَ. لا شريكَ لهُ وبذلكَ أمرتُ وأنا أولُ المسلمين. قُلْ أغير الله أبغي رباً وهو ربُ كل شيءٌ ولا تكسب كلُ نفسٍ إلا عليها ولا تزرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئُكم بما كُنتم فيه تختلفون. وهو الذي جعلكم خلائِفَ الأرض ورفعَ بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ ليبلوكم في ما آتاكم إنَ ربَكَ سريعُ العقاب وإنه لغفورٌ رحيمٌ) صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ربيع الأول/ ١٣٩٨
شباط/ ١٩٧٨

اللواء المتقاعد كامل طه محمد الدبوني.

مدينة اليرموك- الوجبة الخامسة

بغداد/ العراق

المراجع:

١ - تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ
٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: تأليف الشيخ محمد الأمين ابن محمد المختار رحمه الله تعالى
٣ - تفسير القرآن العظيم المسمى(أولى ما قيل في آيات التنزيل) تأليف الأستاذ الشيخ رشيد الخطيب الموصلي رحمه الله تعالى
٤ - كتاب الزهد والرقائق - للإمام عبد الله المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ
٥ - سنن الدرامي للإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي المتوفى سنة ٢٥٥هـ
٦ - الغنية لطالبي طريق الحق: للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٥٦١هـ
٧ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ
٨ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧١هـ
٩ - كتاب الكبائر - تأليف الإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ
١٠ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، تأليف الشيخ منصور علي ناصيف من علماء الأزهر الشريف
١١ - قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية: الشيخ محمد إسماعيل إبراهيم رحمه الله تعالى
١٢ - رسالة (كيفية صلاة الجماعة) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

قيام الليل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

١ - تمهيد

وبعد، ينهض العبد المؤمن من نومه ويتوجه إلى خالقه تبارك وتعالى يدعوه ويذكره، ويصلي في سكون وهدوء، لا يعلم به أحد سوى الله سبحانه وتعالى.

هؤلاء المصلون قال الله تعالى عنهم: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا)[١]. فهذا أبلغ وصف لهم وصفهم به سبحانه وتعالى، لأنهم أعرضوا وأبتعدوا عن المضاجع، يدعون ربهم جل جلاله خوفا من عقابه وطمعا في رحمته ورضوانه. فهم في منزلة عظيمة ذكرها جل شأنه في سورة الزمر /٩: (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فهم في تواضعهم لله تعالى، يعبدونه حذراً من العقاب في الآخرة ورجاء لرحمته سبحانه وتعالى ورضوانه.

إن الله سبحانه وتعالى يغفر لكل مستغفر. ويستجيب لكل سائل، وقد ذكر جل شأنه المستغفرين بالأسحار في سورة آل عمران /١٦ , ١٧ (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) فقد ذكر سبحانه خمسة أصناف من الصالحين، وختمها بالمستفقرين بالأسحار، مما يدل على أن

لهم أعلى درجة من الآخرين وذلك لأن كل منزلة هي أفضل من سابقتها، ويذكر تعالى القائمين في الليل على صفة المدح بقوله: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالاسحار هم يستغفرون)[٢]

وفي سورة الفرقان ذكر سبحانه صفات المؤمنين عباد الرحمن، فذكر أول صفة لهم صلاتهم وقيامهم ليلاً، قال عز من قائل: (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)[١]

٢- مشروعيته:

أن أول ما فرض من الصلاة على نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها بالإضافة إلى صلاة الليل وقيامه.

قال سبحانه (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)[٣] وقوله تعالى، (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)[٤].

وعند فرض الصلاة ليلة الاسراء والمعراج، فرض الله تعالى على نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام خمس صلوات، فأصبح قيام الليل تطوعا، قال جل جلاله: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)[٥].

وفي حديث رواه مسلم والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصيام بعد رمضان

---

(١) سورة السجدة/١٦

(٢) سورة الذاريات /١٦ , ١٧

(٣) سورة ق/٣٩

(٤) الطور/٤٩

(٥) الإسراء/٧٩

شهر الله الحرام، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل).

وروى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أحدى عشرة ركعة (تعني في الليل) يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه. ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة).

وفي الحديث المتفق عليه، عن سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نِعمَ الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل) قال سالم: (فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا).

٣ - فضل قيام الليل

إن هذه الصلاة بعيدة عن الرياء، وخالصة لوجهه تعالى روى الدرامي بسنده عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إستشرفه الناس فقالوا قدم رسول الله، قدم رسول الله، فخرجت فيمن خرج فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته يقول: (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) وروى الحديث كذلك الترمذي بسند صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً) متفق عليه والحبو: هو المشي بمشقة على اليدين والرجلين، يأتي إلى المسجد بهذه الصورة لأنه لا يستطيع المشي بغية نيله الجزاء.

وروى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته

فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء).

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له، لِمَ تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)

وروى أبو داود والنسائي عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: هل من ساعة أقرب إلى الله عز وجل من أخرى، أو هل من ساعة يُبتغى ذكرها؟ قال: (نعم إن أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس... بقية الحديث).

روى الحديث الدارمي عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فاغفر له).

وروى الدارمي الحديث عن الأمام على رضي الله عنه قال: (إذا كان ثلث الليل أو نصف الليل.. فذكر النزول).

وروى أبو داؤد باسناد صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جمعاً كتب في الذاكرين والذاكرات).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحبُ الصلاة إلى الله صلاة داؤد، وأحبُ الصيام إلى الله صيام داؤد، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً

ويفطر يوماً) متفق عليه.

وروى الترمزي وابن أبي الدنيا وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بقيام الليل.. فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم).

٤ - **شموليته**

يشمل قيام الليل: الصلاة وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام والاستغفار والدعاء.

قال سبحانه وتعالى: (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) ترتيل القرآن المقصود به في هذه الآية تلاوته في الصلاة بحضور قلب وتفهم.

(إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) المراد من القول الثقيل هو الأمر العظيم القدر وهو تبليغ الرسالة والهداية. ففرض عليه قيام الليل (إن ناشئة الليل) أي ساعات التهجد من الليل أو قيام الليل (هي أشد وطأ) هي أبلغ مشقة (وأقوم قيلاً) أبلغ مقالاً وأسداها. فيكون المعنى الإجمالي: إنها وإن كانت شاقة على النفوس ولكنها أكثر موافقة للتدبر والفهم وذلك لفراغ البال وانقطاع القلب عن الأشغال. وبذلك تكون أنسب لترويض النفس وتهيئتها للعمل.

روى الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الليل ورغب فيها حين قال: (عليكم بصلاة الليل ولو ركعة).

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن في الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى

خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة).

وروى الدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا نحن أعجز وأضعف من ذلك، فقال: إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل (قل هو الله أحد ثلث القرآن).

وروى الدارمي عن الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثا خواتيمها أولها: لله ما في السماوات.

وروى الدارمي عن جابر رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين).

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين. ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين ومن قرأ الف آية أصبح له قنطار، والقنطار ألف ومائتا أوقية والأوقية خير مما بين السماء والأرض، ومن قرأ ألفي آية كان من الموجبين). الموجب: الذي أتى بفعل يوجب له الجنة.

٥ - أوقاته:

آ- الصلاة إما أن تكون أول الليل وهو ما بين المغرب والعشاء، قال

جل شأنه: (ومن آناءِ الليل فسبح...)[٦] فالآناء: جمع آن، وهو الوقت. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في مثل هذا الوقت في بيته، ومع أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مؤخر المسجد، إلا أنه قد رأى أكثر العلماء الأعلام أنه يستحب على الرجل أن يصلي صلاة التطوع في بيته. وفي هذا الوقت لا يستحب النوم إلا بعد الانتهاء من صلاة العشاء وتختم الصلاة بوتر ولو بركعة واحدة، وإذا أراد العبد أن يصلي في الليل فإنه يؤخر الوتر إلى ما بعد الانتهاء من صلاته، حيث يجعل آخر صلاته (وتراً).

روى الدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل، قال: (مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي ركعة واحدة توتر ما قد صلى).

ب - الوقت الثاني: بعد صلاة العشاء الآخرة وبمدة تكفي لقراءة ألف آية من المفصل، أو من سورة تبارك إلى آخر القرآن فإنها تعدل ألف آية. وقد كان أميرا المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما يفعلان ذلك.

ويكون انتهاء هذا الوقت من الليل بداية نوم الناس. فينام المصلي وهو على طهارة، وقد كان الصالحون لا ينامون إلا بعد أن تغلبهم السِنة ويكرهون التعمد للنوم.

حـ - الوقت الثالث: يبدأ بعد أن ينام الناس عادة، فتسمى الصلاة والدعاء فيه (بالتهجد). وهو الذي ذكره الله تعالى بقوله: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك..) ولا يكون التهجد إلا بعد نوم الناس وهجوعهم، فالهجوع هو النوم، والتهجد القيام، ووقت ذلك يقع في وسط الليل، قال عز وجل: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون)[٧] ففي هذا الوقت يسكن

(٦) سورة طه /من الآية ١٣٠

(٧) الذاريات /١٦

الليل ويهدأ.

د - الوقت الرابع: يبدأ من انتهاء الوقت الثالث ويكون بعد منتصف الليل وإلى وقت السحر عندما يبدأ ظهور الفجر الأول.

هـ - الوقت الخامس: يبدأ من وقت السحر وهو الفجر الأول وإلى وقت طلوع الفجر الثاني، والذي يطلق عليه الفجر الصادق حيث ينتشر الضوء في السماء، وفي أول هذا الوقت يستحب السحور، فمن لم يتسحر أوله يبغته الفجر الصادق.

قال سبحانه: (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) ففيه يدخل وقت صلاة الفجر، وهذا الوقت ذكره سبحانه وتعالى بقوله: (... وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا)[٨]. قرآن الفجر: يعني تلاوته والصلاة في ذلك الوقت.

مشهوداً: قيل تشهده الملائكة. ملائكة الليل وملائكة النهار.

وقال عز وجل: (... وبالأسحار هم يستغفرون)[٩] أي يستغفرون ويصلون. فقد ذكر عز وجل وصفين من أوصاف الصلاة (قرآن الفجر، والاستغفار). إن هذه الأوقات التي ذكرناها جميعها قد ورد الخبر بفضلها، ورجاء قبول العبادة فيها، فانظر في أي وقت تشاء لتكون في زمرة العابدين[١٠].

إن الصلاة في الليل والتهجد وتلاوة القرآن بتيقظ وسكون نفس وفراغ من العمل ارجاء لرضاء الله تعالى، بأن يتوجه العبد إلى الباري عز

---

(٨) الأسراء /٧٨

(٩) الذاريات /١٧

(١٠) جاء تقسيم هذه الأوقات في كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي المتوفى في بغداد سنة ٣٨٦ هجرية.

رجل برقة قلب وخشوع يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

ونذكر هذا الحديث عن الصحابي الجليل سلمان رضي الله عنه: أنه زار أخاه أبا الدرداء رضي الله عنه ليلة، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نَمْ، فنام، ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام، فلما كان عند الصبح، قال له سلمان قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه.

وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل، قال فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال: (صدق سلمان).

٦ - الليالي المفضلة:

إن الأيام والليالي جميعها أوقات الله، ولكن لورود الآثار بتفضل بعض الليالي عن غيرها أو تفضيل وقت عن آخر فالواجب توضيحها في العبادة..

آ - في كل ليلة- توافق ساعة لا يسأل فيها عبد ربه تعالى خيرا إلا أعطاه إياه، في حديث رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة).

وروى أبو داود والنسائي عن عمر وابن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله: هل من ساعة أقرب إلى الله عز وجل من أخرى، أو هل من ساعة يُبتغى ذكرها؟ قال: (نعم، إن أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن، فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس... بقية الحديث).

(ب) ليلة الجمعة:

الجمعة آخر الأسبوع فهي عيد للمسلمين، وهي خير يوم طلعت عليه الشمس، في حديث رواه أبو داؤد والنسائي عن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، فقال (إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء).

وفي حديث رواه الشافعي والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقربكم مني في الجنة أكثركم عليّ صلاة، فأكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر). صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وإن الغرة من الشيء خياره فاليوم الأزهر: هو يوم الجمعة والليلة الغراء هي ليلته.

وروى الترمزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة غفر له). وروى الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق).

(جـ) ليلة السابع والعشرين من رجب: (١١)

أخبر هبة الله بأسناده عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: (كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا كان يوم السابع والعشرين من رجب أصبح معتكفاً وظلّ مصليا إلى وقت الظهر، فإذا صلى الظهر تنقل هنيهة،

---

(١١) الجزء الأول من كتاب الفنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه

ثم صل أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة والمعوذتين مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاثا، وقل هو الله أحد خمسين مرة، ثم يخلد إلى الدعاء إلى وقت العصر، ويقول: هكذا كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم).

وأخبر هبة الله ابن المبارك السفطي بأسناذه عن أبي سلمة، عن أبي هريرة وسلمان الفارسي رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في رجب يوما وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقام لياليها) وهي لثلاثة بقين من رجب.

(د) ليلة النصف من شعبان

هي ليلة الخامس عشر منه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في ليلة النصف من شعبان في عبادة الله تعالى، وقال: إن الله يتجلى على عباده في هذه الليلة، ففي حديث رواه ابن ماجة عن الإمام علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من مبتلي فأعافيه؟ ألا كذا، ألا كذا؟ حتى يطلع الفجر). فينبغي الاجتهاد في العبادة في هذه الليلة وصوم يومها.

روى البيهقي من حديث الصديقة عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب، ولا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاقٍ لوالديه، ولا إلى مدمن خمر). فينبغي على كل متلبس يعمل بغضب الله تعالى أن يتوب إلى رشده ويتوب إلى ربه ويعمل صالحا لينال رضى الله سبحانه وتعالى.

(هـ) يوم عاشوراء لأنه عاشر يوم من أيام المحرم، في حديث عن أبن عباس رضي الله عنهما كان يقول (صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا يا رسول الله تعظمة اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمت يوم التاسع أراد أن يصوم يوم التاسع مخافة أن يفوته يوم عاشوراء.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر بصيام يوم عاشوراء. وروي عنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحيا ليلة عاشوراء أحياه الله تعالى ما شاء) وفي يوم عاشوراء استشهد الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنهما- حيث استشهد في أشرف الأيام وأعظمها وأرفعها عند الله، ليزيده بذلك رفعة في درجاته وكراماته. فينبغي الصيام في هذا اليوم وإحياء ليلته، والتوسعة على العيال والنفقة الكثيرة والصدقة على الفقراء والمساكين والضعفاء.

(و) الليالي العشر

وهي التي أقسم الله سبحانه وتعالى بها بقوله جل شأنه: (والفجر وليال عشر، والشفع والوتر) وهي العشر الأول من شهر ذي الحجة. فالعمل الصالح في هذه العشر أفضل منه في كل وقت.

في حديث رواه الترمزي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أيام أحب إلى الله أن يُتعبدَ له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر).

(ز) قيام ليالي شهر رمضان.

شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والغفران، شهر الصيام والتراويح. شهر العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات والعمل الصالح، نهاره صيام

وليلة قيام. وقيام رمضان: هو صلاة التراويح، وهذه الصلاة هي نفسها صلاة الليل. والذي عليه جمهور العلماء أن صلاة التراويح عشرون ركعة عدا الوتر ففي حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد والترمزي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه). (إيماناً): أي نية وعزيمة. طيبة به نفسه، غير كاره له، بل يغتنم لياليه لعظم الثواب. و(احتسابا) أي طلبا لوجه الله تعالى.

وفي رواية له: (إن الله فرض صيام رمضان، وسننتُ لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً وإحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

(حـ) ليلة القدر

إنها ليلة مباركة الليلة التي أنزل فيها القرآن قال سبحانه: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة)[١٢]

وقال سبحانه: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) من سورة البقرة.

وقال جل شأنه: (إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر). وهذا يدل على أن ليلة القدر تقع في شهر رمضان، وقد شرفها الله تعالى وعظم قدرها، وقد أعيد ذكرها في السورة ثلاث مرات فالعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس بها هذه الليلة.

ذكر الإمام مالك في الموطأ أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أزي أعمار الناس قبله. أو شاء الله من ذلك. فكأنه تقاصر أعمار أمته أن يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم. فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر).

---

(١٢) الدخان /٣

وفي حديث رواه خمسة من أئمة الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال. (من قام ليلة القدر إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).

وقيام ليلة القدر يحصل بأحياء معظم الليل بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام والاستغفار والدعاء، على أن يؤدى صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة.

روى الإمام مالك ومسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله).

وليلة القدر تقع في الوتر من العشر الأواخر من رمضان والذي عليه جمهور العلماء إنها ليلة السابع والعشرين من رمضان.

في حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان). وعنها رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله. وأيقظ أهله، وجَدَّ وشدَّ الئزر) متفق عليه.

وإن شد الئزر كناية عن الاجتهاد في العبادة. وعنها رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت إن علمتُ أي ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: (قولي اللهم إنك عفوُ تحب العفو فأعفُ عني). رواه الترمزي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان) متفق عليه.

٧ - **قصة روحانية**

رئي الشيخ الجنيد البغدادي رحمه الله في المنام بعد وفاته بمدة قليلة

فسُئل عن حاله فأجاب: لقد ذهبتْ كل تلك الإشارات و..... ولم تنفعنا سوى رُكيعات كنا نؤديها في جوف الليل!

٨ - فائدة

إن الله سبحانه قد فرض فرائض على عباده تجب عليهم تأديتها علنا أمام الجميع لتشيع روح الإيمان وليقتدي كل مؤمن بأخيه، بل ويتنافس بتأديتها على الوجه الأكمل والأتقى، ففي الصلاة المفروضة جُعل أجرها مع الجماعة وفي المساجد يفوق على صلاة الفذ بمفرده بخمس وعشرين مرة، بل إن مشاهدة المؤمن يعتاد المساجد سبب للشهادة له بالإيمان..

ففي حديث رواه الترمزي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بالإيمان).

بينما صلاة التطوع والنوافل والسنن فتؤدى في بيت الرجل، وأنها تفضل على تأديتها في المسجد، ليراه أهل بيته فيقتدوا به.

كما أن الزكاة فمن المستحسن إظهارها. قال سبحانه وتعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم)[١٣]. أما صدقة التطوع فإن الواجب إخفاؤها إلى الدرجة التي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

وكذلك الصيام، فالواجب تعظيم شهر رمضان المبارك، وبحيث إن الذي لا يستطيع الصيام لسبب من الأسباب فالواجب عليه أن لا يعلن إفطاره، لأنه إن فعل ذلك سيكثر عدد الذين لا يصومون ويراه الناس مفطرا وهم لا يعلمون أنه معذور.

---

(١٣) البقرة/٢٧١

بينما الصائم تطوعا، فيجب أن لا يطلع أحداً عليه من الناس لأن الصوم لله تعالى وأجره على الله تعالى كما جاء في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فأنه لي وأنا أجزيَ به). وهكذا كل العبادات المفروضة.

أما النوافل والتطوع والسنن فتؤدي لرب العالمين وإن العبادة تكون بين العبد وربه فعند عدم اطلاع أحد من الناس عليها تكون خالصة لله تعالى. بعيدة عن الرياء.

وإن قيام الليل قربة لله تعالى وإنه عبادة بين العبد وربه وإن ثوابه وأجره منه سبحانه وتعالى، فلا يحتاج إلى كلمة مديح أو استحسان من أحد، فلماذا يسمح لأن يطلع عليه أحد من العباد.

٩ - الخاتمة

معاشر المؤمنين! لقد رأينا من البحث عظم الأجر والثواب الذي يناله العبد عن عبادته وقيامه في بعض الليالي المفضلة. وان الملاحظ أن النهار الذي يلي أكثر تلك الليالي المفضلة يكون عطلة (كليلة الجمعة مثلا). وان الشخص الذي يحيي تلك الليالي بالعبادة والقيام والذكر سينال الجزاء الأوفى من الله تعالى أن شاء الله أما الذي لا يؤدي شيئاً فأنه لا ينال أي شيء!

ولكن يوجد نوع ثالث، فهو بدل من هذا أو هذا يسهر في تلك الليالي المباركة المفضلة. ويقترف المعاصي والأعمال التي لا يقبل بها الله سبحانه وتعالى، كأن يشرب الخمر أو يقضي الوقت في لعب القمار أو أي عمل حرام، فإنه بدل من أن ينال الأجر والثواب عن تقواه وعبادته سيخسر ذلك أولاً وسينال العقاب جزاء ما اقترفت يداه فيكون هو نفسه قد ظلم نفسه! (ولا يظلم ربك أحدا).

ونختم بحثنا بالآية الأخيرة من سورة المزمل. والملاحظ أن هذه السورة

نزلت في مكة المكرمة بينما هذه الآية الأخيرة منها نزلت في المدينة المنورة:(١٤) قال تعالى: (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فأقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تَيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) صدق الله العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللواء المتقاعد كامل طه الدبوني

---

(١٤) جاء ذكر ذلك في (مصحف مكة المكرمة) المطبوع سنة ١٣٦٨ هجرية في مطبعة مصحف مكة.

(الفهرس)

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ببغداد ٥٩٠ لسنة ١٩٨٣

الطبعة الأولى

١٩٨٣

مطبعة بابل

بغداد / شارع السعدون هاتف ٨٨٦١٣٣٩

التوزيع للعالم العربي
المكتبة الحديثة
لبنان